الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العـــــالي والبحـــث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–
كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

أنماط الجوع في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري
دراسة نفسية

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- بوالقرارة صونية
- بوالميس وداد

إشراف الأستاذة:
د. بورحلة جميلة

لجنة المناقشة:

1- د. بوخاري كريمة..... رئيسا
2- د. بورحلة جميلة..... مشرفا
3- د. طبوش سعاد ..... ممتحنا

السنة الجامعية:
2019 / 2020م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العـــــالي والبحـــث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–
كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

أنماط الجوع في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري
دراسة نفسية

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- بوالقرارة صونية
- بوالميس وداد

إشراف الأستاذة:
د. بورحلة جميلة

لجنة المناقشة:

1- د. بوخاري كريمة..... رئيسا
2- د. بورحلة جميلة..... مشرفا
3- د. طبوش سعاد ..... ممتحنا

السنة الجامعية:
2019 / 2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله السميع العليم ذي العزة والفضل العظيم

والصلاة والسلام على المصطفى الهادي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

مصداقا لقوله تعالى:" **ولأن شكرتم لأزيدنكم**".

نشكر ونحمد الله عز وجل الذي أنار درب العلم والمعرفة و أعاننا على أداء هذا العمل المتواضع.

كما يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذتنا الفاضلة

" بورحلة جميلة"

لقبولها الإشراف على هذه الدراسة ولكونها خير عون وسند لنا طيلة فترة إنجازها، ولم تبخل علينا بتقديم نصائحها وتوجيهاتها القيمة، لكي منا كل الاحترام والتقدير.

ونتقدم بالشكر إلى عائلتنا وكل من مدنا بيد العون من قريب أو بعيد، وساعدنا على إنجاز هذا العمل بتعاونهم وتشجيعهم لنا.

مقدمة

مقدمة

تعد الرواية من بين الأجناس الأدبية التي تستهوي القراء، لما تحمله من متعة وتشويق، فمن أبرز سماتها المزج بين التصوير الواقعي للحياة والرؤية الخيالية الإبداعية، هذا التشاكل يمنح الرواية ميزة فنية فريدة فالرواية رسالة هادفة، تنقل تفاصيل المجتمع وترصد أحداثه، وتزيح الستار عن كوامنه التي تعجز عن البوح بها في أرض الواقع.

ورواية " الخبز الحافي" للمؤلف المغربي": "محمد شكري" هي تجسيد لهذا الواقع، وقد اختلفت الروايات حسب كل كاتب، وقد صنف العديد من الدارسين والنقاد الرواية التي بين أيدينا سيرة ذاتية باعتبار أن موضوعها متعلق بحياة " محمد شكري" منذ صباه إلى أن أصبح شابا بالغا، وقد ارتأينا دراسة هذه الرواية سير ذاتية في هذا البحث الموسوم ب:

أنماط الجوع في رواية الخبز الحافي "لمحمد شكري" –دراسة نفسية–

ومن الدوافع وراء اختيارنا لهذا الموضوع أنه يناسب رسالة تخرج، أضف إلى ذلك الرغبة الشخصية في تطبيق المنهج النفسي على الرواية العربية، ولمتابعة تفاصيل هذا الموضوع، سطرنا مجموعة من الإشكاليات تتقدمها الإشكالية الرئيسية:

- ماهي مظاهر تيمة الجوع في رواية الخبز الحافي؟ وعنها تتفرع الإشكالية التالية:
- ما هي أهم العقد التي تجسدت في هذه الرواية ؟

وسعيا منّا للإجابة عن هذه الأسئلة استندنا إلى المنهج النفسي الذي يعتبر سبيل الباحث إلى تلمس الحقائق العلمية بدقة.

وقد انطلقنا من المفاهيم التي جاء بها فرويد في التحليل النفسي والعقد التي قدمها تلميذه آدلر.

وانتظمتفي مدخل وفصلين توجا بخاتمة.

تطرقنا في الفصل الأول إلى المنهج النفسي بين نتاج العرب وتبعية الغرب، من خلال ثلاثة مباحث: الأول حاولنا فيه تعريف المنهج النفسي ونشأته عند الغرب وأهم أعلامه، وفي المبحث الثاني أهم إجراءات التحليل النفسي أما المبحث الثالث فقد كان في التحليل النفسي عند العرب المحدثين في عصر النهضة.

أما الفصل الثاني فعنون: بأنماط الجوع في رواية الخبز الحافي وقسمناه هو الآخر إلى ثلاث مباحث الأول حول الجوع المادي والثاني الجوع الجنسي أما المبحث الثالث فتناولنا فيه الجوع المعرفي. وأخيرا الخاتمة توجت البحث وكانت حصيلة لما جاء في المتن.

ومن بين المراجع التي اعتمدنا عليها بكثرة منها: رواية الخبز الحافي لمحمد شكري، أصول علم النفس لأحمد عزت راجح، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا وكذلك علم النفس في القرن العشرين لبدر الدين عامود.

ولأن كل مجهود لا بد أن يواجه بعض الصعوبات فقد واجهتنا صعوبة تطبيق المنهج النفسي على الرواية وكذالك صعوبة التواصل ببعضنا البعض وبالأستاذ المشرف بسبب الوضع الراهن للبلاد وللعالم ككل.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة "بورحلة جميلة" التي أشرفت على هذا البحث العلمي، وتابعت مختلف أطوارهإلى غاية اكتماله متابعة دقيقة استفدنا خلالها من ملاحظاتها القيمة. جزاها الله عنّا ألف خير وأطال في عمرها ومنحها وافر الصحة والعافية، وأدامها شمعة منيرة في سماء العلم والمعرفة، ونسأل الله التوفيق والرعاية والتوجيه، فعلى الله توكلنا وإليه ننيب.

مدخل

الأدب المغربي

إن الأدباء المغاربة مثقفون لدرجة أنّهم يعرفون عن الحياة الفكرية والأدبية أكثر مما يعرفه المشارقة عن الأدب والفكر، في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير.[1]ومنه فقد حظي الأدب المغربي بالعناية الكافية من طرف الباحثين والنقاد في مختلف أنواعه، والتي تتمثل في الشعر والرواية والقصة وغيرها...

ومن البديهي أن تنقسم الأجناس الأدبية ولو بصورة غير دقيقة على أساس الشعر والنثر الفني، ثم تنقسم على أساس الإتصال المباشر أو غير المباشر بجماهير المتلقين أو المتذوقين كالمسرحية والرواية والقصة القصيرة[2].

ولقد كان من المفروض واستكمالا للتعريف بالأدب المغربي المعاصر ألاّ نغفل الملحون والأدب الشعبي؛ لأن التراث الأدبي في واقع أمره لا يستوعب الفصيح وحده، كما أن المترسل باللهجات الأخرى ترقى بعض آثاره إلى المستوى الذي يجعله جديرًا بالدرس...وهذا الجانب من الأدب المغربي يحتاج إلى معرفة أوسع وأعمق بالنصوص في إطار بيئاتها الإجتماعية المختلفة، وهذا ما يجعلنا نفصل أكثر في هذه الأجناس الأدبية فنبدأ بـ:

1-1- الشعر:

لقد سار الشعر المغربي في الطريق الذي درج عليه الشعر العربي في مختلف الأقطار العربية، وإن بعد عنها من حيث الموقع الجغرافي[3]. فالمسافة بينهما لم تؤثر على جودة الشعر وقيمته.

ونجد أعلاما من الشعراء المغاربة يبلغون مستوى رفيعًا يجعلهم في صف الأندلسيين، ولكن هذا التقدم بدأ بالانخفاض في عصر السعديين: " ظهرت بوادر الجهود في الحياة الأدبية أواخر عصر السعديين، وآخر الشعراء – إلاّ فيما ندر- ينظمون قصائدهم في قوالب متحجرة لا تستجيب لوقف شعور عام أو خاص بقدر ما تجتر قوالب

[1] عبد الحميد يونس وفتحي حسن المصري، في الأدب المغربي المعاصر، فاس المغرب، ط1، ص 03.
[2] المرجع نفسه، ص 05.
[3] المرجع نفسه، ص 24.

محفوظة. ولم تكن الصياغة تدل على أي براعة، ولم تفصح عن أي جهد عاطفي أو عقلي"[1]. فالشعر في هذه الفترة لم يكن محل اهتمام القرّاء وذلك بسبب مضامينه والمواضيع التي تحدث عنها.

1-2- القصة:

يتميز الفن القصصي بتنوع أجناسه الأدبية،و نذكر منها مثلا: القصة.

وعلى الرغم من تأخر ظهور القصص في الأدب المغربي المعاصر فإنه قد ساير التطور القومي والإجتماعي مثله في ذلك مثل الشعر.

وربما يتصور البعض أن وظيفة القصة تخالف وظيفة الشعر، ولكن الواقع أن هذا الجنس الأدبي في الرواية والقصة القصيرة قد عبّر عن المواقف والمشاعر الفردية منها والعامة[2].

بمعني أن القصة تأخرت بوادر ظهورها عند المغاربة، وقد اختلفت وظيفتها عن الجنس الأدبي الأول وهو الشعر.

والنقاد المغاربة يسلمون بان عبد الرحمان القاسي" هو أبرز الرواد في الأدب القصصي المغربي، وظهرت له مجموعة من تسعة قصص عام 1962[3].

1-3- الرواية:

لقد تباينت مواقف النقاد واختلفت آراؤهم حول نشأة الجنس الروائي، وظهوره في المغرب الأقصى، حيث يرجع بعضهم زمن انبثاق الرواية المغربية إلى الثلث الأول من القرن العشرين وهو الزمن الأول الذي اقترن بظهور

[1] عبد الحميد يونس وفتحي حسن المصري، في الأدب المغربي المعاصر، ص 40.
[2] المرجع نفسه، ص 142.
[3] المرجع نفسه، ص 143.

نص – "الراحة المراكشية" أو " مرآة المساوئ الوقتية"[1]. يتضح من خلال هذا أن لظهور الرواية المغربية اختلاف بين النقاد والأدباء وقد أرجعوا أول ظهور لها إلى عام 1924.

وتعتبر الرواية نمطا أدبيا دائم التحول والتبدل، بحيث لا يستقر على حال. وكل عمل روائي يجاهد بدرجات متفاوتة في قوتها ودقتها الفنية، لكي يعكس عملية التعبير الدائبة، بل وحتى الدعوة للتغير في بعض الأحيان[2]. إذن فالرواية من بين الأجناس الأدبية التي تتغير بصورة دائمة وكل رواية تتميز عن غيرها من حيث دقة التعبير وقوة الألفاظ.

[1] مخطوط، أنيسة، أحمد الحاج، الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، 2015، 2016، ص 84.

[2] روجر آلن، تر: حصة إبراهيم المنيف، الرواية العربية، د.ط، 1997، ص 07.

الفصل الأول: المنهج النفسي بين نتاج الغرب وتبعية العرب

المبحث الأول: تعريف ونشأة المنهج النفسي عند العرب وأهم أعلامه

1- مفهوم علم النفس:

من المعروف لدينا أن لكل علم مفهوما خاصا به فيعرف علم النفس مثلا على أنه العلم الذي يختص بدراسة السلوك الإنساني وعلاقته بالبيئة المحيطة من خلال الطريقة العلمية في البحث[1]، وبعبارة أخرى هو الدراسة العلمية للسلوك ومن هذا المنطلق فإن علم النفس يصف السلوك (ماذا يحدث؟) كما يحاول توضيح أسباب السلوك (لماذا يحدث؟) ويحاول العلماء الإجابة عن مثل هذه التساؤلات بهدف معرفة وتحديد ما يفعله الناس، ولماذا يفعلون ذلك؟[2]

وقد اختلف العلماء في تعريف علم النفس فتارة نجد بأنه العلم الذي يدرس السلوك وتارة يعرف بأنه العلم الذي يدرس وظائف الدماغ والنشاطات العقلية.[3]

إذ نلاحظ من خلال هذه التعاريف أن لعلم النفس مفاهيم عديدة فهناك من ربطه بالسلوك وهناك من ربطه بالدماغ ووظائف العقل وفي الحقيقة أن الإتفاق على تعريف واحد لعلم النفس لا يزال بعيد المنال وهنا يمكننا القول بأن علم النفس قد سلك عدة اتجاهات عبر العصور حتى أصبح يعرف بالعلم الذي يبحث في سلوك الناس وتصرفاتهم وأعمالهم من حيث هي مظهر للظواهر النفسية.[4]

2- نشأة علم النفس

من المعروف لدينا أن الفلسفة هي أم العلوم منذ القديم حيث نجد علم النفس فرع من فروع هذه الفلسفة والذي استقل عنها وأصبح علما قائما بذاته.

---

[1] سمير بقيون الطب النفسي، دار اليازوري، عمان، الأردن، (د.ط)، 2007، ص07.

[2] أرنوف وتيج، مقدمة في علم النفس، تر: عادل عز الدين، الأشول، بن عكنون، الجزائر، (د ط) (دت)، ص11.

[3] محمد عودة الريماوي، علم النفس العام، دار الفكر، ط7، 2009، ص19.

[4] كامل محمد محمد عريضة، علم نفس الشخصية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص05.

وقد ظهر هذا العلم عند اليونان على يد أفلاطون (427 -347 ق م) حيث يرى أن لأفكار الإنسان تأثيرا كبيرا في سلوكه، لكنه كان يرى أن لهذه الأفكار وجودا مستقلا عن الإنسان فهي تقيم في الجسم أثناء الحياة ثم تتركه عند الموت.[1]

فأفلاطون يرى أن علم النفس مرتبط بالأفكار وهذه الأخيرة تؤثر بشكل كبير في السوك الإنساني ومرتبطة بحياته.

أما أرسطو (384، 322 ق م) فقد خطا خطوة كبيرة بعلم النفس في الإتجاه العلمي حين أشار إلى أن النفس هي مجموعة الوظائف الحيوية لدى الكائن الحي أي وظائف الجسم، وبها يتميز عن الجماد ومن دونها لا يكون الجسم أكثر من جثة، وعلى هذا يكون السلوك والحالات النفسية نتيجة عمليات جسمية وقد ترتب على هذه النظرة أنه لم يعد من الضروري البحث عن تفاسير للسلوك والحالات النفسية خارج نطاق الإنسان كما أنه كان أول باحث حاول أن يفهم بصورة منظمة الطرق التي يفكر بها الإنسان وصاغ قوانين في (تداعي المعاني) سادت علم النفس اكثر من عشرة قرون لذا يمكن اعتباره بحق المؤسس الأول بعلم النفس[2].

يتضح لنا من خلال آراء أرسطو أن السلوك الإنساني وحالاته النفسية مرتبط بالوظائف الجسمية لذلك أصبح البحث في السلوك الإنساني غير ضروري وكان أرسطو أول من وضع طرق منظمة للتفكير الإنساني.

وفي العصور الوسطى انتقلت تعاليم أرسطو إلى المدرسين الغرب (الأوروبيين) حيث حاولوا دراستها وتطبيقها فاستعصى عليهم الأمر في فهم طبيعة النفس ومصير الإنسان مما أدى إلىانقسامهم إلى فريقين، فريق اهتم بدراسة الظواهر الروحانية، وفريق آخر اهتم بدراسة الظواهر العقلية، وهذا الانقسام ساعدهم علم النفس على الانفصال عن علم الإلهيات.[3]

[1] أحمد عزتراجح،أصول علم النفس، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصرن ط7، 1968، ص 25.
[2] المرجع نفسه، ص25.
[3] المرجع نفسه، ص25.

وقد حاول الفيلسوف الفرنسي ديكارت (1596-1650م) إيجاد حل لمشكلة العلاقة بين العقل والجسم وقال بأنهما شيئان مختلفان متمايزان كل التمايز، فرأى بأن الخاصة الجوهرية للجسم هي الإمتداد في حين أن خاصة العقل عند الإنسان هي التفكير والشعور، أي أن ديكارت حدد الفرق بين العقل والجسم فلكل منهما جوهر خاص به يميزه عن الآخر.[1]

وبعد كل هذه الدراسات أجمع مؤرخو علم النفس أن ظهور هذا العلم كعلم قائم بذاته يعود إلى بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر واعتبروا عامي 1861م و1879 م تاريخا لاستقلال هذا العلم ويشيرون إلى العالم الألماني "فونت" كمؤسس لعلم النفس ففي عام 1861م وضع أول جهاز في خدمة البحث السيكولوجي التجريبي وفي عام 1879م أقام أول مخبر للدراسات السيكولوجية وقد ساهم إنشاء فونت لهذه المخابر على انفصال علم النفس عن الفلسفة والعلوم الأخرى بالرغم من هذا كله فإننا لا ننسى جهود العلماء وفضلهم على هذا العلم وتأثيرهم على رواده السابقين أم اللاحقين.[2]

ولعل هذا ما يدفع إلى التساؤل عن اسباب ولادة النفس في هذه السنوات بالذات.

للإجابة عن هذا السؤال يجب مراعاة جميع الظروف المحيطة بهذا الحدث في تاريخ دراسة السلوك الإنساني وتجاوز فكرة أن توفر وسائل البحث هي السبب الذي أدى إلى استقلال علم النفس، ويجب استيعاب فكرة أن التطور العلمي والصناعي الذي شهدته أروبا والولايات المتحدة الأمريكية هو الذي ساعد على تحرر هذا العلم عن باقي العلوم الأخرى.

ولسيغموند فرويد مكانة خاصة بين المشتغلين بعلم النفس والطب النفسي، وشهرة واسعة بين المثقفين، ولربما كان فرويد أول من حاول أن يجعل من علم النفس أيديولوجيا تقوم برأي في كل موضوع، وتفسر كل نشاط يقوم به الإنسان.

---

[1] أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص25.

[2] بدر الدين عمود، علم النفس في القرن 20، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، (د ط)، 2001، ص51.

وفرويد من مواليد 1856م بالنمسا ومات بلندن سنة 1939م وفي عام 1859 م غادرت أسرة فرويد "فرايبورغ" لتستقر في فيينا تمدرس هناك وتفوق في دراسته الثانوية وانتقل إلى كلية الطب سنة 1873م تلبية لرغبة والده أما هو فلم يكن له ميل في هذا الميدان وكان يطمح إلى ان يكون عالما، حصل على الدكتوراه في الخامسة والعشرين من عمره، دفعته همته إلى مواصلة تعليمه في باريس وفي عام 1886، عاد فرويد من باريس إلى فيينا وهو مزود بالكثير من الإنطباعات والأفكار المبعثرة وغير الواضحة زيادة على التنويم المغناطيسي الذي يستخدم في علاج الأمراض الهستيرية.[1]

وبعدها تعرف على بروير أحد اطباء فيينا، واتفق معه وعالجا المرضى بطريقة التنويم المغناطيسي اشترك معه في تأليف كتاب "دراسات في الهيستيريا" وفي عام 1894م اختلف مع "بروير" في تقدير العمل الجنسي في الإصابة بالعصاب وأبدى فرويد إتجاهات مبكرة إلى تفسير الاضطرابات النفسية بالجنس فعكف لوحده يعدل في الطريقة ويتجنب استخدام التنويم المغناطيسي في العلاج أو الإيحاء بالشفاء. وانصرف يصنع طريقته هو، والتي أعلن باسم التحليل النفسي (psychoanalysés) وقد كان لفرويدإبنةإسمها أنا (Anna) المشهورة في مجال التحليل النفسي للأطفال والتي شايعته على آراءه وكانت ضمن تلاميذه الذين تحلقوا حوله ومنهم يونغ و وآدلر وآخرون...وصنعوا جميعا أول تجمع من علماء النفس.[2]

إلا أن بعض تلامذة فرويد تمردوا على آرائه بالرغم من انتمائهم إلى مدرسة التحليل النفسي، ومثال ذلك "يونغ" التذي كانت له آراءهم الخاصة المخالفة لآراء فرويد الجنسية وغير الجنسية، حيث وضع "يونغ: تعريفا للشخصية إنطلاقا من أحد أبعادها وهو التفاعل الإجتماعي وهذا التفاعل في رأي "يونغ" هو المحرك الرئيسي المتحكم في سلوك الشخص، ومن هنا كون "يونغ" ما يعرف باللاشعور الجمعي.[3]

---

[1] نبيلموسى، موسوعة مشاهير العالم، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج2، ص271.

[2] المرجع نفسه، ص271.

[3] المرجع نفسه، ص 472.

أما آدلر فقد أسس علم النفس الفردي، الذي كان بداية جديدة في حركة التحليل النفسي، واهتمامات آدلرالإجتماعية طبعت نظرياته وجعلتها متباينة كل التباين عن نظريات فرويد أي أنه لم يسلك طريق فرويد في تحليله النفسي.[1]

وفي الأخير نخلص إلى أن علم النفس قد عرف بعدة مفاهيم، ففي بداية ظهوره كان يعرف بالحياة العقلية، ثم تطور وأصبح يعرف بعلم السلوك، وقد ظهر هذا العلم منذ القدم اي قبل الميلاد، وكان ذلك مع أفلاطون، وصولا إلى العصر الحديث مع العالم النمساوي فرويد، الذي كرس حياته من أجل دراسة هذا العلم، حيث طوره من علم السلوك إلى حياة الشعور واللاشعور وقد استفاد من هذا العلم الكثير من الباحثين بعده بدءا بتلامذته.

[1] نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم، ص18.

المبحث الثاني: أهم إجراءات التحليل النفسي

1- عند فرويد

لقد قام فرويد بتأسيس علم النفس، وقد تطور هذا العلم عبر الزمن وذلك من خلال الدراسات التي قدمها فرويد في مجموعة من الجوانب ومن بينها دراسته لشخصية الإنسان، الوعي واللاوعي، كذلك تطرق لدراسة العقد النفسية وأهم هذه العقد: عقدة أوديب، وعقدة إلكترا، وعقدة النرجسية، وفيما يلي سنحاول توضيح دراسة فرويد لهذه الجوانب.

1-1- الوعي واللاوعي (الشعور واللاشعور)

قسم فرويد النفس البشرية إلى قسمين وهما الوعي واللاوعي وأطلق عليهما أيضا اسم الشعور واللاشعور، وقد خالف في ذلك كل ما عرفه علم النفس عبر التاريخ.

يرى فرويد بأن الوعي يغطي مساحة صغيرة من النفس، في حين يغطي اللاوعي المسافة الأكبر والأهم. وقد شبه فرويد النفس الإنسانية بجبل جليدين وحسب رأي فرويد اللاوعي هو جوهر النفس والأصل الذي يتكون منه الوعي تدريجيات مع تقدم الطفل في السن.[1]

من خلال آراء فرويد نلاحظ أن الجانب الظاهر من النفس الإنسانية هو الوعي، يحتل جزءا صغيرا من النفس، أما الجانب الخفي فيتمثل في اللاوعي الذي يحتل المساحة الأكبر والأهم، كما يعتبر فرويد أن الطفل عند تقدمه في السن يتكون عنده الوعي الذي يرجع أصله إلى اللاوعي.

تكمن أهمية اللاوعي بالنسبة لفرويد في أنه مستودع الطاقة والانفعالات والأفكار التي يكبتها الإنسان منذ طفولته دون أن يعرف عن مكبوتاته أي شيء، ليس بسبب وهن ذاكرته وإنما بسبب وجود قوى معينة تقاومنها

[1] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، ص260.

وتمنعها من الظهور في الوعي، وللاوعي مغلق تماما على الوعي رغم ما يتسم به من دينامية، يعتبرها فرويد مسؤولة عن ظهور تلك الإنفعالات والأفكار من حين لآخر على شكل اضطرابات في حركات المريض وإدراكاته وتذكره.[1]

فاللاوعي عند فرويد مصدر الأفكار والمشاعر المكبوتة في النفس منذ الطفولة والتي ليس له علم بها وهذا لا يعني ضعف قدرته على التركيز أو استرجاعه لتلك الأفكار، ولكن هذا راجع إلى وجود طاقة معينة تسيطر عليها وتمنعها من الخروج إلى الوعي، فاللاوعي له حيز خاص بعيد عن الوعي، حيث يعتبر فرويد اللاوعي هو المسؤول عن حدوث الانفعالات في بعض الأحيان لدى المريض.

ويأتي فرويد بمفهومين أساسين لفهم أسباب حدوث الأعراض المرضية، ومعالجتها "الكبت" و"المقاومة". فالكبت يدل على حالة الإنفعالات والأفكار في اللاوعي والمقاومة هي القوة التي تحول دون انتقال تلك الإنفعالات والأفكار إلى الوعي ويتبوأ الكبت مكانة هامة في نظرية فرويد وهنا يقول فرويد: " إننا نستمد مفهومنا عن اللاوعي من نظرية الكبت ونعتبر المكبوت نموذجا للاوعي"[2].

لذا نفهم ان المقاومة الموجودة في الوعي هي التي تمنع انتقال الإنفعالات والأفكار إلى الوعي مما يؤدي إلى كبتها في اللاوعي.

وهناك فكرة أخرى يرى فيها فرويد أن اللاوعي يتضمن معنيين الاول وصفي والثاني دينامي. فالمكبوت بالمعنى الأول يستطيع أن يصبح شعوريا ولكنه بالمعنى الدينامي يعجز عن ذلك لوحده، وقد أطلق فريود على المستوى الأول مفهوم ما قبل الوعي، وأبقى على مفهوم اللاوعي ليعبر به عن المستوى الثاني.[3]

نلاحظ أن فرويد قد قسم اللاوعي إلى قسمين: وصفي ودينامي فالمكبوتات بالمعنى الوصفي يمكن أن تصبح شعورية أما بالمعنى الدينامي فلا يستطيع أن يصبح شعورية لوحدها.

---

[1] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، ص261

[2] المرجع نفسه، ص261.

[3] المرجع نفسه، ص261.

مما سبق ذكره نخلص إلى أن فرويد أو مؤسس التحليل النفسي عمل على نقل المكبوتات من اللاوعي إلى الوعي (من اللاشعور إلى الشعور) فبهذه العملية يتخلص المريض من المعاناة المرضية، لمواصلة حياته بطريقة عادية، وانتقال المكبوتات من اللاوعي إلى الوعي يتطلب وجود طرف آخر وهو الطبيب الذي يساعد على استخراج هذه المكبوتات من منطقة اللاشعور إلى منطقة الشعور وبهذا يشفى المريض.

1-2- طبيعة الشخصية (الذوات)

يذهب فرويد إلى تقسيم الشخصية إلى ثلاثة أنظمة تكون الجهاز النفسي وتكون مكملة لبعضها البعض وانسجامها وتناغمها يؤدي إلى استواء السلوك والعكس؛ أي إذا اضطربت هذه الأنظمة اضطرب السلوك وهي الهو والأنا والأنا الأعلى.

وأول هذه الأنظمة أو الذوات نذكر الهو "ID " واسمه الهو لأن حديثنا عنه حديث عن غائب نعبر عنه بضمير الغائب المجهول الذي نعلم عنه فقط من خلال تأثيراته والهو يعني الماضي ويمثل ميراث الأجداد وما نولد به من مكونات نفسية وراثية.[1]

نلاحظ من خلال هذا المفهوم أن "الهو" يعني الماضي الذي لا نعلمه إلا إذا احدث فينا تأثير، فهو موجود داخل أنفسنا منذ الولادة.

والهو نظام يقوم على الموروث وهو أصل الشخصية واتصاله بالجسم وثيق وخبرات "الهو" خبرات ذاتية داخلية لذلك فهو الواقع النفسي الحقيقي للشخصية، وهو مخزن الغرائز، فإذا حدث في النفس توتر فإن "الهو" يعمل على خفض هذا التوتر ليعود إلى توازنه ففرويد يسمى ذلك مبدأ اللذة (Pleseure Principale)[2] إذا فالهو مسؤول عن توازن الحالة النفسية للإنسان وانخفاض التوتر يعني تجنب الا لم وتحقيق اللذة " والهو" متمرد على قوانين العقل والقيم الأخلاقية.

[1] نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم، ص274.
[2] المرجع نفسه، ص274.

وهكذا يعمل "الهو" على التخلص من الضيق والالم اللذين يحدثهما التوتر وينشد اللذة. وسبيله في ذلك الأفعال الإنعكاسية الفطرية كالعطس مثلا... كما يستخدم لهذا الهدف أيضا العمليات الأولية التي تتجلى في الإستجابات السيكولوجية البسيطة إذ بفضلها تتشكل صور موضوعات إشباع الحاجات الفطرية التي تساعد على تفريغ الشحنات الزائدة من الطاقة وتخفف من توتر الكائن البشري. غير أن هذه العمليات الاولية بحد ذاتها لا تحقق الهدف المنشود، تلك لأنها ليست قادة على تخليص الشخص من الطاقة الزائدة تماما وبصورة دائمة[1] فمثلا الصور المخزنة في الذاكرة عن الطعام أو الماء لا تشبع الجائع ولا تروي العطشان.

ويعتقد فرويد بأن سبب تكون العمليات النفسية الراقية أساس في العمليات النفسية الثانوية تؤلف مضمون الجزء الثاني من النظام النفسي وهو الأنا.

إذا كان بقاء الإنسان واستمرار الإنسانية هدفا نهائيا للوجود الإنساني فإن على الفرد منذ الطفولة المبكرة أن يلبي حاجاته بالأداء الفعلي وليس بالتصور أو الوهم وللقيام بذلك يجب عليه أن يتعلم التمييز بين صورة الأشياء وإدراكها الفعلي ومحاولة الطفل لوضع مخططات ذهنية وتطبيقها في الواقع ما هو إلا الخطوة الأولى لتكون "الأنا" .

ويعد الأنا "ego" النظام الثاني في الجهاز النفسي وسمي بهذا الاسم لأنه التعبير الذي تلجأ إليه عندما نكوم بصدد طرح ما يخصنا من أفكار فنقول (أنا أظن، أنا أعتقد) والأنا هو الذي يواجه الناس والمجتمع، ويتدبر الأمور ويخط الخطط، وتتحقق به الصور الذهنية والأحلام.[2]

وهذا معناه أن الأنا يمثل شخصية الفرد وبه يعبر عن أفكاره ويحقق أحلامه.

[1] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، ص275.

[2] نبيل موسى، موسوعة مشاهر العالم، ص275.

والأنا جزء من الهو، فإذا كان الهو غير منطقي فإن الأنا منطقي ومنظم، والأنا هو يفرق بين الشيء كصورة ذهنية، وبينه كمدرك حسي؛ أي أنه يدرك الأشياء بالحواس وما قلناه من قبل ان الهو واقع ذهني ذاتي بينما الأنا واقعه موضوعي.[1]

بمعنى أن مبدأ الواقع هو الذي يسيطر على عمليات الأنا فإنه يتعامل مع الواقع في حد ذاته.

يرى فرويد أن الأنا هو الجهاز الإرادي المنفذ للشخصية، وهو يتحكم بالهو وينظمه من جهة ويدير شؤون الأنا الأعلى ويضبطها من جهة ثانية باعتباره جزء من "الهو" لصيقا به ومنفتحا على العالم الخارجي، وحين يحسن "الأنا" القيام بوظائفه ويتمكن من التوفيق بين حاجات "الهو" ومتطلبات "الأنا الأعلى" فإنه يضمن للشخصية انساجمها وتوازنها ولكنه حين يميل إلى أحد الطرفين ويقع تحت تأثيره فإنه يتسبب في اختلال توازن هذه الشخصية واضطرابها.[2]

ويتضح من هذا أن "الأنا" هو ملتقى مطالب "الهو" ومطالب "الأنا الأعلى" وله هو أيضا مطالبه، فإذا استطاع أن يوازن بين هذه الذوات (الهو، الأنا الأعلى) يؤدي بالضرورة إلى انسجام الشخصية، بينما إذا انحاز إلى صف إحدى هذه الذوات فستكون الشخصية مضطربة.

نلاحظ من خلال ما تقدم ذكره أن الأنا هو الذي يعمل على توازن وضبط الشخصية لأنه يقوم بعدة عمليات من بينها تأجيل تحقيق رغبات "الهو" إلى أن يجد الموضوع المناسب لهذه الرغبات، والحد من متطلبات "الأنا الأعلى"، لذلك يعتبر "الأنا" بمثابة الجهاز الإداري الذي يعمل على تنظيم مطالب هذه الذوات.

وآخر هذه الذوات "الأنا الأعلى" Super ego " وهو النظام الذي وظيفته الأخلاق، لذلك فهو يمثل الجانب المثالي في نظام الشخصية، ويتولى مراقبة تفريغ الطاقة النفسية بتعليق "مبدأ الواقع" " مبدأ اللذة". ويتشكل الأنا الأعلى كاستجابة للممكنات والممنوعات التي تتضمنها توجيهات الوالدين وقرارات وأحكام المؤسسات

[1] نبيل موسى، موسوعة مشاهر العالم ، ص275.

[2] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، ص275.

الاجتماعية المختلفة[1]. بمعنى أن "الأنا الأعلى" يمثل الأوامر والنواهي والقيم الاجتماعية فإذا فعلنا ما هو خطأ لايرضاه الضمير ويرفضه المجتمع ويأباه الدين ولا تقبله الأخلاق.

الأنا الأعلى يعمل لبلوغ الكمال وفي مسعاه يقوم بكف اندفاعات "الهو" ذات الطابع الجنسي أو العدواني على وجه الخصوص ،هذا من جهة ومن جهة أخرى يقوم " الأنا الأعلى" بإقناع "الأنا" بتجاوز الموضوعات الواقعية وإحلال المثل السامية مكانها[2]. أي أن "الأنا الأعلى" يسعى إلى الوصل إلى المكانة العالية بين هذه الذوات حيث يقوم بعمليتين في آن واحد، الاولى يحد من رغبات "الهو" والثانية يقوم فيها بإقناع الأنا بتعدي الواقع.

ويسمى الأنا الاعلى باسم الأنا المثالي بشقه الذي يستدمج ما نثاب عليه، والقيم التي يقوم عليها الثواب، والأنا الأعلى لذلك دائب الدب، عن الأنا أن يخضع لمطالب "الهو" الغريزية اللاأخلاقية، ودائب الحث للأنا أن تكون له أهداف أخلاقية.[3]

وهذا يعني أن الأنا الأعلى يقوم على مكارم الأخلاق فيمنع "الهو" من إشباع الغرائز ويحث الأنا بالحفاظ على الأخلاق.

مما سبق ذكره نخلص إلى أن شخصية الإنسان عند فرويد تتكون من ثلاث ذوات، وهي تنوع الدوافع لدى الفرد؛ "فالهو" يمثل الدافع البيولوجي، ويقتصر على طاقة الليبيدو، أما الأنا فيمثل الدافع النفسي، أي الذاتي في حين الأنا الأعلى يمثل الدافع الاجتماعي، وينحصر في الإتجاه النفسي للطفل، كما أن الأنا يقوم بمهمة التوفيق بين مطالب "الهو" وسلطات الأنا الأعلى. ويواجه الأخطار المحدقة به من العالم الخارجي، ومن اللبيدو "الهو" ومن قسوة "الأنا الأعلى" حيث اعتبره فرويد سببا رئيسيا في الإصابة بالأمراض النفسية.

---

[1] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن 20، 277.

[2] المرجع نفسه، ص277.

[3] نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم، ص276.

1-3- العقد النفسية

العقدة comlex مجموعة من ذكريات وأحداث مكبوتة مشحونة بشحنة انفعالية قوية، من الذعر أو الغضب أو الإشمئزاز أو الكراهية أو الغيرة أو الإحساس الخفي بالذنب. والعقدة استعداد لا شعوري مكبوت.[1]

أو أنها جملة من التصورات والإنفعالات المكبوتة الناشئة عن خبرات صراعية ذات شحنة وجدانية كبيرة، وهي وإن كانت لا شعورية إلا أنها تؤثر في تفكير الشخص، وتطبع سلوكه بطابع الإنحراف والشذوذ.[2]

وقد تنشأ العقدة من صدمة انفعالية واحدة أو تنشأ من خبرات مؤلمة متكررة، أو من تربية رعناء في عهد الطفولة؛ أي إشعار الطفل بأنه مخطئ ومذنب ومعاتبته في كل عمل يقوم به وتخويفه وهذه التربية تخلق في نفسه مشاعر بغيضة كالشعور بالنقص والذنب والقلق أو عواطف هذامة كالحقد والكراهية والغيرة وكبت هذه المشاعر والعواطف يؤذي بالضرورة إلى نشأة عقدة أو عدة عقد.

والعقد النفسية كثيرة منها: عقدة أوديب وعقدة إلكترا أو عقدة النقص وغيرها من العقد.

1- عقدة اوديب oedipuscomplesc

يحكى في أساطير الإغريق أن "أوديب" كان طفلا لأحد الملوك فتكهن أحد المنجمين بانه يستقبل أباه حين يكبر فأمر الملك بنبذ ابنه في العراء، فلما كبر "أوديب" التقى بأبيه في إحدى رحلاته -ولم يكن يعرفه- ولأمر ما تنازعا فتقل أوديب أباه ثم مضى حتى بلغ مدينة ابيه فتزوج ملكته -وهي أمه- دون أن يعرفها.

وقد استعار شيخ مدرسة التحليل النفسي اسم هذه الأسطورة فأطلقه على مأساة شبيهة بها يعانيها الطفل الإنساني إبان طفولته الباكرة، في صلته بوالديه، سماها "عقدة أوديب". وتعتبر عقدة ذات خطر كبير عند -التحليلين- لأنها ذات صلة وثيقة بتكوين ضمير الفرد وخلقه، كما أنها حجر الزاوية ونواة جميع الأمراض النفسية

[1] أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص116.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، لبنان، دط، 1982، ج2، ص83.

وتتلخص في رغبة مكبوتة لدى الولد في الاستئثار بأمه والاستحواذ عليها، مع غيرة ونفور وخوف وكراهية مكبوتة للأب.[1]

من خلال هذا يتضح لنا أن "سيغموند فرويدّ مؤسس التحليل النفسي قد استعار اسم عقدة أوديب وحاول توظيفه على المعاناة التي يعيشها الطفل خلال فترة الطفولة في اتصاله مع أمه وابيه، وأطلق على هذه المعاناة إسم "عقدة أوديب". ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه العقدة تعرف بأنها عقدة خطيرة عند اصحاب التحليل النفسي، وهذا راجع حسب رايهم للعلاقة الوطيدة في تكون الضمير عند الإنسان وأخلاقه، كما يعتبرونها الحجر الأساس ولب معظم الأمراض النفسية ويمكن اعتبارها أنها مجموعة من الرغبات عند الطفل تكون مكبوتة يحاول من خلالها التقرب من والدته في حين يولد لديه غيرة كبيرة وخوف يكون مكبوتا أيضا اتجاه والده.

كما يفصل فرويد في هذه العقدة فيرى أن الطفل خلال السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من حياته تكون علاقاته العاطفية والاجتماعية بوالديه قد أخذت تنمو وتتعقد، والطفل الذكر يحب والديه في أول الأمر على حد سواء، غير أنه لم يلبث أن يزداد تعلقه بأمه وحبه لها، كما يأخذ بوادر العزوف عن أبيه والإعراض عنه تدب في نفسه وتبدو في سلوكه، حتى إن تساوى في الإحسان إليه والعطف عليه، وهذا أمر يجب ألا يبدو غريبا، أو بعيد الإحتمال، فلعل الطبيعة تعده بهذا لوظيفته الطبيعية في سن البلوغ وتعينه على حب شخص آخر من غير جنسه[2].

فالطفل عند فرويد في السنوات الاولى من عمره تكون له مجموعة من المشاعر والاحاسيس اتجاه والديه وتنمو مع نموه، كما نلاحظ أن الطفل الذكر في بادئ الأمر يكون حبه اتجاه والديه متساويا، ولكن هذا الحب سرعان ما يتحول معظمه إلى أمه، ويشرع الطفل في الإبتعاد عن أبيه ويظهر ذلك من خلال سلوكاته بالرغم من المعاملة الحسنة والمتساوية من طرف الابوين تجاه الابن وهذا ليس أمرا غريبا عند فرويد، ويعتقد أن الطبيعة هي التي

[1] أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص121.
[2] المرجع نفسه، ص121.

تعينه على حب شخص يختلف عنه جنسيا، وتتكون لديه غيرة وحقدا إذا نافسه شخص في هذا الحب، وهذه الغيرة تولد في نفس الطفل الخوف من أبيه، كما يقترن في نفسه الشعور بالنقص والشعور بالذنب اتجاه المنافس القوي.

عقدة النقص عند ألفردآدلر:

تنشأ عقدة النقص من تعرض الفرد وخاصة الأطفال لمواقف كثيرة ومتكررة تشعره بالعجز والنقص والفشل، ويجب التمييز بينها وبين الشعور بالنقص. فهذا الشعور حالة نفسية يدركها الفرد ادراكا مباشرا ويعترف بها. وهو ينشأ من نقص جسمي أو عقلي أو اجتماعي أو اقتصادي، متوهم أو حقيقي. وهو شعور غير شاذ بل إنه قد يكون دافعا قويا للصغار على محاكاة الكبار[1].

أي ان الشعور بالنقص حالة نفسية يمكن للشخص أن يدركها ويصرح بها. وهو عبارة عن نقص حقيقي أو خيالي، كما أنه لا يكون في غالب الأحيان سلبيا وإنما قد يكون إيجابيا.

أما عقدة النقص فهي استعداد لا يفطن الفرد إلى وجوده ونوعه، ولا يعرف منشأه بل يحمله على عدم الاعتراف بنقصه، كما يسوقه إلى أنواع مغرّبة من السلوك لا يفهم دلالتها ولا يدرك الصلة بينها وبين شعوره الغامض الدفين بالنقص. مثل: الزهو الشديد، الإسراف في تقليد الذات، التظاهر بالشجاعة والميل الشديد إلى السيطرة والعدوان والاستعلاء... وغير تلك من مظاهر التعويض المسرف[2].

أي أن عقدة النقص تختلف تماما عن الشعور بالنقص لأن المصاب بها لا يمكنه إدراكها ولا معرفة نوعها ولا الاعتراف بها، كما أن هذه العقدة تقوده إلى سلوكات غريبة لا يعرف أصلها ولا يفهم سببها.

[1] أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص119.
[2] المرجع نفسه،ص119.

يفسر "آدلر" عقدة النقص بالعجز الذي يولد به الطفل وعيوبه العضوية، ويرى أيضا أن الطفل يرمي وراء كل ما يفعل وما يبنيه من علاقات إلى تجاوز عقدة النقص عنده[1]، وقد طرح آدلر مفاهيم نفسية مهمة توجه السلوك الإنساني، ومثال ذلك لكفاح من أجل التفوق ويتمثل في أن السعي وراء التفوق يمثل وسيلة تعويضية من مشاعر النقص. وفي هذا الصدد يقول "آدلر": « وهكذا فإن عملية التعويض التي تتوضع بعمق في أساس الحياة الإنسانية برمتها هي قوة إبداعية»[2]، والطفل عندما يحس بنقصه فإنه يتوجه إلى الخارج أي إلى وسطه الاجتماعي لينتقي عناصر سلوكه التعويضي، ويشير "آدلر" إلى أن الحالات والمواقف الخارجية ليست بسبب كافيا لتكوّن السلوك ما لم تقترن بالعمليات النفسية الوسيطة[3]. ومثال ذلك عند وقوع حادثة ما فهي لا تثير لدى شخصين نفس ردود الأفعال.

يصنف "آدلر" المواقف التي تتوافر من خلالها الشروط الرئيسية لنشأة الشعور بالنقص في الأربع او الخمس سنوات الأولى من حياة الفرد في ثلاث فئات وتشتمل الفئة الأولى منها نسبة لا بأس بها من الأطفال الذين ينمو لديهم الشعور بالنقص نتيجة عاهة أو نقص عضوي، وتضم الفئة الثانية الأطفال المدللين الذين يحاطون من قبل ذويهم بحماية مفرطة ويحيون حياة رغدة وسهلة ولعل ما يميز هؤلاء الأطفال هو غياب الشعور بالقيمة الذاتية لديهم، أما الفئة الثالثة فإنها تحتوي على الأطفال القساة المشاكسين الذين يلفون أنفسهم دوما في حالة عداء مع الآخرين[4].

نجد "آدلر" هنا يأخذ السنوات الأولى من حياة الطفل ويقسمها إلى ثلاث أقسام وبين المواقف التي يتعرض لها كل قسم وهذه المواقف هي التي تولد لدى الطفل الشعور بالنقص.

---

[1] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، ص 287.
[2] المرجع نفسه، ص287.
[3] المرجع نفسه ، ص288.
[4] المرجع نفسه، ص288-289.

تعتبر عقدة النقص من أهم العقد التي حظيت بالدراسة من قبل "ألفرد آدلر"، حيث أعطى أهمية كبيرة لهذه العقدة وحاول أن يفسر سبب وجودها، واستطاع إيجاد علاج مناسب لها وسماه بالتعويض أو التعويض الأعلى، لذلك يمكننا القول إن" أدلر" بالرغم من مخالفته لأستاذه "فرويد" إلا أنه استطاع أن يقدم شيئا جديدا في علم النفس.

اللاشعور الجمعي عند "يونغ"

"كارل جوستاف يونغ" من أكبر علماء حركة التحليل النفسي، ويعتبر هو "وآدلر"و "فرويد" الأعمدة الثلاثة الرئيسية في الحركة.

أسس "يونغ" نظرية اللاشعور الجمعي وهو مقابل الشعور الشخصي ويطلق عليه "يونغ" احيانا إسم اللاشعور اللاشخصي، ومفهومه عند "يونغ" يجعله من أكثر ما قال به من مفاهيم تعرضنا للجدال والخلاف، ووصفه له بالجمعي لأنه مخزن للذكريات والأفكار الجمعية، وكلنا لدينا اللاشعور الجمعي ويتفاوت ما لدينا منه من شخص لآخر، وهذا اللاشعور الجمعي بمنزلة استعدادات تتهيأ بها التجارب مع العالم ومواقفه[1]. نلاحظ أن جميع الناس يخافون من الظلام وهذا الخوف ورثوه عن الأسلاف، لأن الإنسان عبر العصور كان يخاف الظلام المحفوف بالأخطار، وكان أخشى ما يخشاه قدوم الليل ففيه يظهر الأعداء والحيوانات المخيفة.

لقد قسم "يونغ" اللاوعي إلى نظام جمعي وآخر فردي، ولكل واحد منهما دوره في حياة الفرد فاللاوعي الجمعي أو ما فوق الشخصي كما يسميه "يونغ" أحيانا، يحتوي على ما هو مشترك بين الجماعة أو الشعب أو الإنسانية، مما لا يكتسبه الفرد في مجرى حياته، إنه يتضمن الغرائز الفطرية، والصور الأولية البدائية، وصحيح أن المولود الجديد لا يملك أي تصور عن العالم، ولكنه يملك دماغا بدرجة عالية من الدقة والتنظيم، وهو يرث هذا الدماغ عن الأسلاف بوصفه نتاجا عضويا، للوظائف العصبية والنفسية التي كانوا يقومون بها[2].

[1] نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم، ص475.

[2] بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين، ص295-296.

وهذه الفكرة التي جاء بها "يونغ" توحي لنا بأنه يمكن تقسيم اللاوعي إلى فردي وجماعي، وأن الجماعي لديه صلة وطيدة بالمجتمع فاحتكاك الطفل بالمجتمع يكون لديه لا وعي جمعي، بالرغم من أن هذا الطفل فور ولادته، كان صفحة بيضاء فاستطاع المجتمع أن يخط عليها ما يشاء فتتكون هذه الصورة لدى الطفل الصغير.

عقدة النرجسية

النرجسية اسم مشتق من (نرجس)، وهو عند اليونان اسم فتى أسطوري، جميل الصورة، أعجب بجمال صورته المنعكسة على صفحة الماء، فعشقها واراد أن يعانقها فغرق فحولته الآله إلى الزهرة المعروفة بهذا الاسم[1].

أي أن اليونان في القديم اشتقوا كلمة النرجسية من إسم الفتى (نرجس)، الذي عشق نفسه وهذا العشق أدى به إلى الهلاك.

يطلق اسم النرجسية في أيامنا هذه على الشدود الجنسي الذي يجعل المرء غارقا في عشق نفسه وقد بين علماء التحليل النفسي أن للنرجسية الطبيعية مرحلتين: أولهما مرحلة الطفل الذي يتخذ ذاته موضوعا لشحنات الليبيدو، وثانيهما مرحلة المراهق الذي يسترد شحنات الليبيدو من الموضوع الخارجي لتركيزها في ذاته[2].

بمعنى أن مفهوم النرجسية تطور عبر العصور، فأصبح يعرف عنه علماء النفس بالشدود الجنسي وقد قسموها إلى قسمين: وهما مرحلة الطفولة ومرحلة المراهقة.

كما يرى علماء النفس أنه إذ اشتد ميل المرء إلى عشق ذاته انقلب إلى عصاب يسمى بالعصاب النرجسي**Névrose narcissique**ويتولد هذا العصاب من توقف النمو الوجداني عند مرحلة النرجسية الأولى أو من اشتداد حالة النرجسية الثانية[3].

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص462.
[2] المرجع نفسه، ص462.
[3] المرجع نفسه، ص462.

يمكننا القول أنَّ العُصاب النرجسي هو اضطراب نفسي تنحصر فيه شحنات الليبيدو في الذات حيث لا يكون للمرء إلا شيء واحد يتأمله ويشتهيه وهو نفسه.

مما تقدميتبيّن لنا أن العقد النفسية عبارة عن انفعالات مكبوتة في اللاشعور منذ الطفولة، ولكنها تختلف من عقدة إلى أخرى، ومن عالمٍ لآخر ، حسب طبيعة كل دراسة يقوم بها.

المبحث الثالث: التحليل النفسي عند العرب المحدثين في عصر النهضة

1- عند العقاد:

يعتبر "العقاد" من بين مؤسسي الاتجاه النفسي وتطوره في النقد العربي الحديث، بل ورائدهم في ذلك، لما بدا عليه من تحمس لهذا الاتجاه، منذ باكورة مكوناته الثقافية –الذاتية– والتي تعكسها إرهاصاته الأولى في دراساته للشخصيات التي رسم لكل منها مفتاحا خاصا بها يميزها به عن غيرها، إلى أن تأصلت معالم هذه الجهود النفسية من خلال كتابيه حول "ابن الرومي" و" أبي نواس"[1].

أي أن العقاد قد تأثر بمدرسة التحليل النفسي الغربية، وطبق معالمها عند العرب، ويتضح من خلال الكتب التي ألفها، ودرس فيها بعض الشخصيات.

لقد درس "العقاد" سيرة العظماء واختار لمعظمها اسم العبقرية وهو في ذلك لم يكن يبحث عن تفاصيل حياتهم، وإنما كان يختار منها المواقف العظيمة التي كانت تمثل جانبا من جوانب شخصيته وقد كان لمفتاح الشخصية في نظره دور هام في تتبع مراحل سلوكها ونزعتها النفسية والاجتماعية، وفي ذلك يقول: « مفتاح الشخصية هو الاداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها وتنفد بنا وراء أسوارها وجدرانها وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض... ولكل شخصية إنسانية مفتاحا صادق يسهل الوصل إليه أو يصعب على حسب اختلاف الشخصيات..»[2].

"العقاد" من خلال دراسته لبعض الشخصيات لم يهتم في ذلك بتتبع مراحل حياته، ولكنه ركز على المواقف التي تمثل بعض جوانب شخصيته، ويرى أن مفتاح الشخصية يشبه تماما مفتاح البيوت إلا أن اختلاف الشخصيات يؤدي إلى صعوبة الوصول إليها والعكس من ذلك.

---

[1] عبد القادر فيدوح، الإتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار الصفاء، عمان، الأردن، (دط)، ص131.

[2] المرجع نفسه، ص131.

أسس "العقاد" حركة التجديد مع زميله "شكري" و"المازني" وقد بلغت هذه الحركة شأنا عظيما باعتبارها على المناهج الحديثة وخاصة منهج مدرسة التحليل النفسي، وفي ذلك يقول: « ومدرسة التحليل النفسي هي أقرب المدارس إلى الرأي الذي تدين به في نقد الأدب ونقد التراجم ونقد الدعوات الفكرية جمعاء، لأن العلم بنفس الاديب او البطل التاريخي يستلزم العلم بمقومات هذه النفس من أحوال عصره وأطوار الثقافة والفن فيه »[1].

ويعني "العقاد" بقوله هذا أنَّ نقد الأديب يستلزم تطبيق المنهج النفسي لأن من خلاله يستطيع الناقد أن يتوصل إلى معرفة الاحوال النفسية للأديب ومعرفة العصر الذي يعيش فيه ومراحل ثقافته وفنه.

إن السمة الغالبة على دراسات العقاد النقدية والادبية هي سمة الفردية لإيمانه بالوعي الفردي، وهي إحدى خصائص النقد النفسي عنده والأساس الذي تركز عليه النظرية الرومانسية عموما، وهي النظرية التي ألهمت الناقد ضرورة تفرد الأديب بشخصيته، بل جعلته يعتقد أن التاريخ الإنساني يأخذ مساره من الاجتماعية إلى الفردية ولعل إيمانه أيضا بضرورة تجسيد العمل الأدبي لشخصية الأديب جعله لا يحفل كثيرا بالصلة التي تربط هذا الأديب بواقعه الاجتماعي، بل إن هذا الإيمان دفعه إلى الإمعان في موقفه المتعنت من دعاة الواقعية الاشتراكية في مصر[2].

وانطلاقا من هذا يمكننا القول إنَّ "العقاد" في دراساته اقر بأن النقد النفسي والنظرية الرومانسية يشتركان في نفس الخاصية وهي الوعي الفردي، وإيمانه بفكرة تطبيق العمل الأدبي على الأديب جعلته لا يهتم كثيرا به والصلة التي تربطه بمحيطه الاجتماعي.

[1] عبد القادر فيدوح، الإتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، ص132.

[2] زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي دمشق، سوريا، (د ط)، 1998، ص29.

2- عند "النويهي"

على غرار "العقاد" اهتم "النويهي" بتحليل شخصيات الشعراء تحليلا نفسيا، وإن اختلفت النتائج في الظاهر لاختلاف الفرضيات السيكولوجية، ولكن المنحى النفسي العام يبقى نفسه...، إذ تناول هو الآخر بالتحليل النفسي شخصيتي "ابن الرومي" و"الحسن ابن هانئ"[1] .

بمعنى أن "النويهي" من بين النقاد الذين اعتمدوا المنهج التحليل النفسي لدراسة بعض الشخصيات وإن اختلفت نتائج دراساته عن نتائج "العقاد" إلا أن الطريقة التي اعتمد عليها نفسها.

تقوم نظرية النقد النفسي عند "النويهي" على مفهومين أساسين هما:

تنفيس الفنان عاطفته وتوصيلها إلى الناس.

فالأدب صورة نفسية لشخصية الشاعر أو الأديب، فالتنفيس والتوصل عند "النويهي" دافعان متلازمان، وشرطان ضروريان لبروز الفن، ولا يُغن أولهما عن ثانيهما ويتمثلان في: رغبة الفنان في أن ينفّس عن عاطفته، ورغبته في أن يضع هذا التنفيس على شكل صورة تثير في كل من يتلقاها نظير عاطفته[2].

يتضح لنا من خلال هذا أن "النويهي" اعتمد في نظريته على مصطلحين مهمين هما: التنفيس والتوصل، كما يؤكد أنهما شرطان أساسيات لقيام العمل الفني، فكل واحد منهما مكمل للآخر.

درس "النويهي" شخصيتي "ابن رومي" و"أبي نواس" وشخّص بعض الأمراض الجسمية والآفات النفسية "لابن الرومي"، التي استقرأها من شعره. وتوصل إلى أن اشد ما كان يؤلم هذا الشاعر هو إحساسه بالعجز الجنسي، واضطراب هضمه لضعف معدته وهذا نفس الاتجاه الذي سلكه أيضا في دراسته الشخصية النواسية؛ إذ حلل الظواهر النفسية لهذا الشاعر، معتمدا على حقائق علم النفس، وعلم الأحياء، فانتهى مثلا إلى أن "أبا

[1] زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، ص30.
[2] المرجع نفسه، ص30.

نواس" كان يعاني الشذوذ الجنسي، وسبب هذا الشذوذ في تصوره يكمن في عقدته النفسية التي تشكلت في عقله الباطن أو اللاشعور بسبب ما عاشه في صباه[1].

نلاحظ من خلال هذا أن "النويهي" قد درس شخصيتي كل من "ابن الرومي" و"أبي نواس"، وقد حدد في دراسته هذه بعض الأمراض الجسمية والنفسية "لابن الرومي" استخلصها من شعره، كما أنه استطاع أن يحدد مصدر ألمه ومعاناته، وهو العجز الجنسي وضعف في المعدة. وكذلك في تحليله لشخصيته "ابي نواس" توصل إلى أنه يعاني من الشذوذ الجنسي، ومصدره هو العقدة النفسية المخزنة في اللاشعور منذ صغره.

في نافلة القول نرى أنه لا يوجد اختلاف جوهري بين دراسة "العقاد" ودراسة "أبي نواس"، إلا في بعض المصطلحات والفرضيات، التي انطلق منها كل ناقد، فالأول أقام دراسته على النرجسية وما يتصل بها من لوازم وشدود جنسي وعقد نفسية. والثاني أقامها أيضا على الشذوذ الجنسي وما يرتبط به من عوامل وأسباب كالشعور الجنسي بالخمرة. فالدراسات إذن تجمعها الغريزة التي هي أساس النظرية الفرويدية.

وختام قولنا أن الدراسة النفسية لم تقتصر على "العقاد" و"النويهي" بل تعدت إلى عدد كبير من الادباء والنقاد، نذكر منهم على سبيل المثال: "محمد كامل حسين" في دراسته "للمتنبي" و"أبي العلاء المعري" و"حامد عبد القادر" في دراستهم "للمعري".

مما سبق يمكننا طرح السؤال التالي: إن كان ظاهر هذه الأفكار يوضح بأن العرب المحدثين اقتدو بالتحليل النفسي على علاته ولو يطوروا فيه فهل يصح أن نصدق بظاهر هذه الأفكار ونمحو كل محاولة عربية سابقة في التحليل النفسي ليس لها علاقة "بفرويد" وجماعته؟ ، بمعنى آخر أو بعبارة اخرى هل جفت أقلام اللغويين العرب القدمة عن مناقشة القضايا النفسية؟ أم هل حديث القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة عن النفس وأقسامها وترتيبها حديث لا علاقة له بالتحليل النفسي الحديث؟.

[1] زين الدين المختاري، المخل إلى نظرية النقد النفسي، ص31.

وللإجابة عن هذا السؤال نتطرق لما أتى به الله سبحانه وتعالى عن النفس البشرية وكيف قسمها في القرآن الكريم.

أقسام النفس الإنسانية في القرآن الكريم

يرى الله سبحانه وتعالى أن النفس الإنسانية واحدة وذلك بقوله ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾ [سورة الأنعام، الآية 98] .

من هنا يتجلى لنا أن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم بأن النفس واحدة ولها عدة قوى، وهذه القوى هي التي تظهر النفس بالصورة التي تكون عليها، وعليه يمكننا القول أن أقسام النفس في القرآن الكريم عدة أقسام وهي:

1-1- النفس العاقلة الناطقة:

وهي من أعلى مراتب النفوس ولا توجد إلا في الإنسان وبسببها مُيِّز عن بقية المخلوقات وفُضِّل قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ ، [سورة الإسراء،الآية 70].

وهي النفس العالمة والمدركة ومن دونها لا علم للإنسان قال تعالى:﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ**﴾، [سورة الإنفطار، الآية 05].

وهي النفس التي تناقش وتجادل وتدلي بالحجج والبراهين لتدفع الشر عن ذاتها وتقرب الخير منها وفي ذلك قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾، [سورة النحل، الآية 111].

وهذا يعني أن النفس العاقلة هي أرقى النفوس التي تميز الإنسان عن غيره فهو لديه عقل به يكون عالما ومدركا يستطيع أن يأتي بالحجج للدفاع عن آراءه وأفكاره.

1-2- النفس الغضبية:

إنهانفس تهوى الجهاد بل لا تعيش إلا من خلاله، وهذه النفس تعمل بهدي من العقل لدى المؤمن وتكون موجهة بهدى النفس الشهوانية والأمارة بالسوء تارة أخرى. ومثل هذه النفس التي قصدها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: " أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك" وهي التي نقصدها بالقول : أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك[1].

أي أن هذه النفس يجب الابتعاد عنها لأنها تعمل على أوامر العقل والدين بل تعمل على أمور شهوانية وتسعى إلى نشر البغضاء بين الناس لهذا يجب الابتعاد عنها ومحاربتها.

1-3- النفس الشهوانية:

وهذه النفس بدورها لها جانبين جانب سلبي وجانب إيجابي:

أ- **الجانب السلبي**: إنه نزوع بهيمي حيواني في النفس الشهوانية عبر عنه علم النفس بالآيروس ويعمل وفق مبدأ اللذة فقطن وفي هذا قال تعالى﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ**﴾،[سورة الأعراف، الآية 179].

ب- فالله سبحانه يتوعد الدين تحكم فيهم غرائزهم وشهواتهم نار جهنم خالدين فيها ويصفهم بالدواب والأنعام.

وهذا الجانب غريزي. وتسيطر على النفس البشرية الغرائز التي تجعل منه حيوانا لا يفكر بعقله بل يرغب في إشباع غريزته فقط.

[1] وليد عبد الله رزيق، خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن، دمشق، سوريا، (دط)، ص27.

ب- الجانب الإيجابي: ليست النفس الشهوانية شريرة سلبية بكل اندفاعاتها ونزوعاتها بلها اندفاعات مشروعة ومباحة ومشجع عن إتيانها حتى في القرآن وبعضها مفروض على الإنسان كالشهوة الجنس هي ضرورة لاستمرار النوع البشري وبقاء الإنسان سيدا لهذا الكون[1].

لهذا قال تعالى:﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾،[سورة النساء، الآية 02].

فالله جل جلاله يوضح لنا أن للنفس الشهوانية لها جانب إيجابي وفي هذا الجانب يحافظ الإنسان على نسله وبقاءه سيدا لهذا الكون ومن ناحية ثانية نجد شهوة الطعام ضرورية للإستمرار في الحياة وعلى الإنسان أن يأكل من طيبات الرزق ومما تشتهيه الأنفس وفي ذلك قال تعالى:﴿ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾، [سورة البقرة، الآية 56].

ومن هنا يتبين لنا أن شهوة الطعام ضرورية لبقاء الإنسان واستمرار حياته وهذا ما وضحه الله تعالى في الآية الكريمة .

من خلال ما تطرقنا إليه نلاحظ أن النفس الشهوانية لها جانبين جانب سلبي وجانب إيجابي، ويبقى السؤال المطروح اليس لها جانب يحكم اندفاعها؟ والجواب هو نعم ونجد في ذلك كلام الرسول صلى الله عليه وسلم " عفوا تعف نساؤكم وبناتكم فالعفة هي التي تحفظ كرامة الإنسان"، فالعفو يحكم اندفاع النفس ويخلق لها جانب يتحكم في اندفاعات هذه النفس.

[1] وليد عبد الله زريق، خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن، ص29.

1-4- النفس الأمارة بالسوء

إنها نفس ملحاح في طلب المعاصي ودائبة على فعل المنكرات ولا تقصد تحقيق اللذة عاجلة كمن يشهد الزور أو كمن يقطع الطريق أو كمن يفرق بين المرء وزوجه...[1]، وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾،[سورة يوسف،الآية 53].

وهذا يعني أن النفس الأمارة بالسوء سميت بهذا الاسم لأنها تخطط وهذا يعني أن النفس الامارة بالسوء سميت بهذا الاسم لأنها تخطط لارتكاب المعاصي وفعل الشرور وتصر على ذلك متعدية حدود الله.

1-5- النفس اللوامة:

ورد ذكر هذه النفس في القرآن بشكل صريح وبلسان المبالغة لقوله تعالى:﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾، [سورة القيامة، الآية 1-2].

وهناك العديد من يرى بأن هذه النفس اللوامة هي نفس سيدنا آدم عليه السلام التي ما تزال تلوم نفسها على فعلها الذي خرجت بموجبه من الجنة، وهناك من يرى بأنها نفس النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يحرص على فعل اكبر قدر ممكن من الخير ويتهم نفسه بالتقصير ويلومها على ذلك؛ بمعنى أن النفس اللوامة تدفع صاحبها إلى لوم نفسه رغم كل ما قدمه من خير[2].

ومن هنا يمكننا القول بأن النفس اللوامة هي نفس مؤمنة لذلك جاء "حسن البصري" يقول: " إن النفس اللوامة هي نفس المؤمن فالمؤمن لا تراه لائما نفسه"، والنفس اللوامة قسمان نفس المؤمن اللوامة ونفس الكافر اللوامة.

أ- **نفس المؤمن اللوامة:** وهي النفس التي أقسم الله بها عندما قال:﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾، [سورة القيامة، الآية 1-2].

---

[1] وليد عبد الله زريق، خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن ، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص32.

فالله سبحانه يتحدث هنا عن نفس المؤمن التي تلومه إذا فعل شيء خاطئ وهي نفس شريفة تهتدي بنور العقل الذي كشف مبادي الأخلاق والضمير ولهذا اقسم بها الله تعالى وهي ما ذكرناه في أول الحديث.

ب- نفس الكافر اللوامة: هذه نفس ظالمة يلومها الله ويلومها الناس وتلومها الملائكة حتى أنها تلوم نفسها؛ أي أننا نجد هذه النفس عند الأشخاص الذين يميلون إلى المعصية وارتكاب الأخطاء فهم يلومون أنفسهم على عدم ارتكاب معصية ما[1].

1-6- النفس المطمئنة:

إنها النفس التي أيقنت بأن الله ربها وأنه سيدافع عنها قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾، [سورة الحج، الآية 38].

فالله لا يترك أي نفس إطاعته وعبدته، وهي واثقة بأن الله وليها قال تعالى:﴿ **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾، [سورة فصلت، الآية 31].

فالله يَعِد النفس المطمئنة بجنات النعيم لأنها صبرت في الدنيا وكانت واثقة من عدل الله وحكمه فكانت راضية به ربّا وكل ما يأتي عنه، فنالت بذلك رضى الله عنها واستحقت أن تكون راضية مرضية. بمعنى أن هذه النفس متكيفة من كل جوانب الحياة وبكل ما فيها من سعادة وراحة وطمأنينة ونحن نعلم أن السعادة لا تكون إلا بطاعة الله ونيل رضاه.

مما سبق نستنتج أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق النفس البشرية وقسمها إلى عدة أقسام. فمنها الطائعة الراضية بقضاء الله وقدره، ومنها ما تجري وراء شهواتها وتحقيق رغباتها حتى وإن كانت في معصية الله وكذلك نجد الله ذكر بأن لكل نفس ما كسبت فالنفس الصابرة الراضية توعدها بالجنة عرضها السماوات والأرض أما النفس الأمارة بالسوء فمصيرها نار جهنم.

[1] وليد عبد الله رزيق، خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن، ص34.

اهتم العلماء والنقاد العرب بعلم النفس ودرسوا مجموعة من الشخصيات وأخضعوها للتحليل النفسي، والملاحظات التي تحصلوا عليها لم تختلف بصفة كبيرة عما جاء به الغرب، وقبل كل هذا لا ننسى أن القرآن الكريم لم يغفل هو الآخر النفس الإنسانية وقسمها إلى عدة أقسام.

الفصل الثاني:

أنماط الحوع في رواية الخبز الحافي

تمهيد:

إن رواية الخبز الحافي في طياتها تحمل سيرة ذاتية للكاتب المغربي: " محمد شكري"، كما صنفها الدارسون والنقاد باعتبار أن موضوعها حول حياة الكاتب منذ صغره إلى أن أصبح شابا بالغا. وقد سلط فيها الضوء على يوميات الطفل الذي عاش طفولة قاسية ناتجة عن الإستعمار والفقر، وقسوة والده الذي كان يعيش عالة عليه، فمحمد إحتاج في حياته إلى الخبز.

فما هي حقيقة هذا الخبز؟ هل هو الخبز الذي يسكت به الجوع يومه؟ أم أن لهذا الخبز دروبا أخرى؟

من خلال دراستنا لهذه الرواية، حاولنا وضع النقاط على الحروف من أجل الوصول إلى حقيقة الخبز الحافي، فتبين لنا أن شخصية الكاتب بحاجة إلى الخبز الذي لا يحمل معنى واحدا فقط بل له ثلاثة معان أولها الخبز بمعنى الأكل، وثانيا بمعنى الجنس وثالثا بمعنى المعرفة

المبحث الأول: الجوع المادي

لقد مرّ المغرب بظروف استثنائية خلال فترة الإستعمار مما أدى بالكثير من المغاربة إلى التشرد والعيش في ضياع وخوف وجوع، وقد عاشوا في نفق مظلم قوامه السجون والمعتقلات السرية والإختطافات والتعذيب والموت البطيء والإغتيالات والقتل والدفن في أماكن سرية والإغتصاب والقهر الجسدي، والقمع المادي والمعنوي والإهانة والدوس على الكرامة الإنسانية والصفة الأدبية.

وقد دفع الشعب المغربي الثمن فادحا ضحى بأرواح أبنائه سواءا على امتداد مرحلة الحماية والاستعمار أو في سبيل الخبز ومن أجل الحرية والحقوق الإنسان، والديموقراطية بعد الاستقلال.

ومن بين هؤلاء المستعمرين نجد " محمد شكري" وعائلته الذين عانوا مع بقية الشعب الحرمان والعنف والجوع.

وهذا ما جعل "شكري" يكتب هذه الرواية التي تعتبر سيرة ذاتية لحياته المعيشية في ظل الإستعمار، فقد افتتح السارد السيرة بمظاهر الجوع والفقر والبؤس والحرمان إذ يبدأ الخبز الحافي بمشهد الموت كنتيجة للجوع جراء المجاعة التي اجتاحت الريف المغربي: "أبكى موت خالي والأطفال من حولي يبكي بعضهم معي لم أبكي فقط عندما يضربني أحد، أو حين أفقد شيئا أرى الناس أيضا يبكون، المجاعة في الريف القحط والحرب"[1].

تنعكس المجاعة التي أصابت الريف على حياة محمد(الطفل) وأسرته ومجتمعه، فيبدأ رحلة أو معاناة البحث عن الأكل (الخبز): "ذات مساء لم أستطع أن أكف عن البكاء، الجوع يؤلمني أمص وأمص أصابعي أتقيأ، ولا يخرج من فمي غير خيوط اللعاب، أمي تقول لي بين لحظة وأخرى، أسكت. سنهاجر إلى طنجة الناس هناك يأكلون حتى يشبعوا"[2] بمعنى أن عائلة شكري يعانون من الفقر الشديد وهذا ما أدى بهم إلى مغادرة حبهم والهجرة

[1] محمد شكري: الخبز الحافي دار الساقي بيروت لبنان، ط6، 2000 ص9.
[2] المصدر نفسه، ص 9.

إلى طنجة(الجنة كما تخيلها). ولكن الجوع في كل مكان حتى في طنجة: " في طنجة لم أر الخبز الكثير الذي وعدتني به أمي، الجوع أيضا في هذه الجنة.لكنه لم يكن جوعا قاتلا"[1].

وهكذا تبدأ حياة الطفل محمد فحين يشتد جوعه يخرج إلى حي "عين قطيوط" يفتش في المزابل عن بقايا ما يؤكل ومثله كثيرون:

" وجدت طفلا يقتات من المزابل مثلي في رأسه وأطرافه بثور حاف القدمين وثيابه مثقوبة، قال لي: مزابل المدينة أحسن من مزابل حينا زبل النصارى أحسن من زبل المسلمين"[2]

وحين يدخل إلى البيت يجد والده بالمرصاد فهو شديد القسوة عليه وعلى جميع أفراد العائلة فأمه عانت معه الأمرين: " يضرب أمي بدون سبب أعرفه. سمعته مرار يقول لها:... سأهجرك يا أبنة القحبة"[3]

يصفه بالوحش لأنه لا يستطيع فعل شيء إلا بإذنه ويفعل ما يشاء حتى أنه قتل أخ محمد في لحظة غضب: " أخي يبكي يتلوى ألما (....) الوحش يمشي إليه، الجنون في عينه(....) يلوى اللعين عنقه بعنف أخي يتلوى(....) الدم يتدفق من فمه(.....) مصابيح الله شاهدة على جريمة أبي"[4] بعد هذا دخل والده السجن وهذا ما حتم على الأم بالبحث عن عمل، بالرغم من الظروف القاسية التي تعيشها البلاد، ولكن لا وجود لأي عمل: " تذهب (أمه) إلى المدينة باحثة عن عمل، تعود خائبة مثلما كان أبي يعود في الأيام الأولى من وصولنا إلى طنجة، تقضم أظافرها تنتحب، يكتب لها المشعوذون تمائم لعل أبي يخرج من السجن وتجد هي عملا، تصلي كثيرا تدعو كثيرا، تشعل الشموع في أضرحة أولياء الله تستطيع خط مستقبلنا عند الشوافات"[5]

---

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص 11.

[3] المصدر نفسه ، ص 12.

[4] المصدر نفسه، ص 12.

[5] المصدر نفسه، ص15.

أحيانا يذهب محمد للسّوق ليقتات من بقاياها: "سوق البراني (الكبير بمدينة طنجة) أكلت أوراق الكرنب قشور البرتقال وبقايا فواكه عفنة" [1] أو إلى المقابر ليجمع بقولها يقتات منها هو وأمه. "دخلت مقبرة " بوعراقية" (...) وجدت هناك البقول التي وصفتها لي أمي".[2] وفي أحسن أحوالهم كانوا يقتاتون أمه الخبز اليابس الذي تشتريه والدته من المتسولين : " نشتري ركاما من خبز يابس يبيعه المتسولين(...) تطبخه (أمه) في الماء مع قليل من الزيت والتوابل، أحيانا في الماء وحده"[3].

أو ما يحصل عليه من شفقة الآخرين: " تأملتني (إبنة صاحب البستان الذي يسرق إجاصه) باشفاق (...) ابتسمت(...) مدت لي رغيفا يقطر بالعسل الأسود(...) إذا جعت فعد إلينا"[4].

والشيء الذي يعاني منه شكري لا يتعلق بالأكل فقط بل بالملبس أيضا وقدماه الحافيتين.

"أليس عندك حذاء؟"[5] بعد إطلاق سراح الأب وبحث عن حياة أفضل قررت الأسرة الرحيل باتجاه "تطوان": " سمعتهما (أمه وأبوه) يتحدثان عن رحيلنا إلى تطوان، لم تكن لنا غير غرفة واحدة"[6]كان محمد بحاجة ماسته إلى العطف والحنان وقد لاحظنا ذلك عندما حدثنا عن ابنة صاحب البستاني عندما أخبرها برحيلهم: " قبل رحيلنا بيوم رأيت الفتاة التي حررتني من الحبس(..) أخبرتها برحيلنا إلى تطوان أخذتني معها إلى منزلها(...) أكلت الخبز الأسود بالعسل، الدافئ والزبد(...) غسلت لي وجهي وأطرافي كنت أخاها الأصغر؟ ابنها؟ مشطت شعري المنفوش قصت لي منه ويدها الملساء الدافئة تلامس وجهي (..) أمسكته بين يدها كما تعودت أنا أن

[1] محمد شكري، الخبز الحافي: ص 15-16.
[2] المصدر نفسه، ص 17.
[3] المصدر نفسه، ص 18.
[4] المصدر نفسه، ص 22.
[5] المصدر نفسه، ص22.
[6] المصدر نفسه، ص 26.

أمسك عصفورا حتى لا أوله تارة تضغط بلطف على وجهي وتارة تهدهده، ودعتني بالقبلات على خدي، باست فمي، فكرت فيها مثل أخت لم تلدها أمي"[1].

عندما وصلوا إلى "تطوان" عثروا على بيت يأويهم ولكنه ليس أحسن من سكنهم في " عين قطيوط": " عثرنا في حي عين خباز على مسكن في جوار بستان حجرة واحدة ومرحاض خارج الحجرة"[2]

محمد لم يعد طفلا، أصبح شابا يتكل عليه: " عثر لي أبي على عمل في مقهى شعبي في نفس الحي" [3] ولكن هذا الأب القاسي كان يعيش عالة عليه وعلى أمه فقد كان يستغلهما لأن أجرة محمد من عمله من نصيب والده: " كل شهر يجيء أبي عند صاحب المقهى (...) يعطيه ثلاثين بسيطة من عملي(...) في اليوم الذي يقبض أجرتي يغيب يوما أو يومين، أحيانا يعود ثملا(..) إنه يستغلنا أنا وأمي"[4]

في عمره هذا لم يكن ينام في مكان واحد فقط بل نام في المقهى" أحيانا أنام في المقهى فوق المقاعد".[5] وينام في المخبزة: " أحيانا أنام في المخبزة الاسبانية المجاورة للمقهى"[6]. تحدث محمد عن مشاهدته لكثير من الآباء وعطفهم على أولادهم على عكس والده فيقول عن صاحب المقهى: " كثيرا ما رأيته يقبل أولاده وهم يلعبون ويكلم زوجته بهدوء ومرح، أبي يصفع ويصرح مثل الحيوان"[7]

يترك عمله في المقهى ويجد عملا آخر ولكن هذه المرة أجره يقبضه بيده: " انتقلت إلى عمل آخر في معمل الفخار(...) هذه المرة كنت أنا أقبض أجرتي، أعطي نصفها إلى أبي مقابل، الأكل وغسل ثيابي والنوم في المنزل"[8] كان يطوف في المقاهي والحانات ليجمع بقايا الطعام من على الطاولات. " بقايا الطعام في الصحون الصغيرة

[1] محمد شكري،الخبز الحافي، ص 27.
[2] المصدر نفسه، ص 29.
[3] المصدر نفسه، ص 29.
[4] المصدر نفسه، ص 30.
[5] المصدر نفسه، ص31
[6] المصدر نفسه، ص 31.
[7] المصدر نفسه، ص 32.
[8] المصدر نفسه، ص39.

أجمعها قبل أن ينطق النادلون الطاولات في سطيحات الحانات"[1] ويتشارك "محمد" الجوع مع كل من حوله فيصف لنا في أكثر من موضع في الرواية أخبار الجائعين من حوله فيقول على لسان صاحبه التفرسيتي كيف أن أسرة عمه ماتت جوعا فيقول: " قضوا أياما بدون أكل لم يرد هو وزوجته أن يطلب من أحد الجيران شيئا من القوت بنيا من الداخل بابا آخر من الحجر والطين وماتوا"[2].

بعدها بدأت مغامراته مع العراك، وكان أول عراك حقيقي له مع "كوميرو" في السوق الخارجي لأنه أهان أخته " أرحيمو" وصفعها: " بصقت عليه وبدأنا نتضارب بالأيدي كان أقوى يضرب بكل ثقل جسمه كنت أمامه مثل ريشة (...) ابتعدت عنه فاقدا توازني أخرجت شفرة (حلاقة) وبدأت أرقص حوله، بدأ يلهث أفلحت له بضربات سريعة وجهه وذراعه وصدره تركته يصرخ يتلوى ألما وهربت محميا بأصدقائي"[3]

وبدعوى إحياء صلة الرحم بينه (الأب) وبين أهله الذين هاجروا جراء المجاعة إلى وهران الجزائرية سافر (الأب) وأخذ معه محمد مرغما: " في تلك الليلة قبض علي أبي بمساعدة بعض رفاق الحي الذين كانوا ضدي في الواحدة صباحا ركبنا الحافلة الذاهبة إلى الناظور(...) وصلنا إلى وهران ليلا (...) دلنا رجل يتكلم الريفية على سكنى الأسرة التي يفتش عنها أبي"[4].

ولكن الحقيقة من وراء هذه الرحلة كانت رغبة الأب في التخلص من ابنه فقد تركه هناك وعاد إلى تطوان.

" تركني أبي مع خالتي وذهب يبحث عن إخوانه في مدن أخرى بعيدة عن وهران بعد ثلاثة أشهر وصلت رسالة تقول لنا إن أبي قد عاد إلى تطوان وإنه من الأحسن أن أبقى أنا في وهران"[5]

---

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص40.
[2] المصدر نفسه، ص 41.
[3] المصدر نفسه، ص 50،51.
[4] المصدر نفسه، ص51،53.
[5] المصدر نفسه، ص54.

أعجب محمد بوهران كثيرا يقول: " أمسيات وهران في الصيف طويلة وجميلة"[1]

وبالرغم من إعجابه بها والاستقرار الذي حصل عليه في مزرعة السيد " سيجوندي" والسيدة " مونيك" إلا أنّ الحنين لكل ما هو قبيح ظل يشده إلى تطوان: " تذكرت بستان عين خباز، آسية تتعرى إنزلاقي فوق جسم فاطمة العارية(...) حرارة أفخاذ النساء ذلك ما كنت أحن إليه"[2].

أعطته السيدة مونيك إجازة شهر يعود فيها إلى تطوان: " سنعطيك إجازة شهر كامل لتزور أسرتك ثم تعود إلينا"[3] ولكنه لم يعد: " ومن قال بأني أريد العودة إلى وهران"[4] عاد إلى حي الطرانكات ولكن لا ينام في البيت." في فصل الشتاء تعودت أن أنام في ركن مخبزة، أكور نفسي كالقنفذ ألصق ظهري إلى جدار الفرن الساخن"[5] وهذا يسبب والده والوسط السلبي الذي عاش فيه وهو ما أسهم في خروج محمد من البيت، فقد كره محمد والده وتمنى له الموت، ويقتله في الواقع قبل أن يموت حين سأله رجل، أيقظه صباحا في الدروب:

" أيقضني ذات صباح رجل سائلا إياي:

-ألست أنت إبن السيد حدو؟

- كلا لست أنا.

-(...)

- من هو أبوك إذن؟

-مات

- مات؟

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ، ص 60.
[2] المصدر نفسه ، ص 60.
[3] المصدر نفسه، ص 68.
[4] المصدر نفسه، ص 71.
[5] المصدر نفسه، ص 72.

-نعم مات من زمان."[1]

وهذا لأن أبوه كان شديد القسوة عليه وقد كان يضربه حتى يسيل دمه: " كثيرا مايباغتني أبي في الشارع من الخلق ويقبض عليّ من ياقة قميصي أو يلوي ذراعي إلى ظهري بيد وباليد الأخرى ينهال عليّ حتى يسيل دمي"[2] وقد حقد على أبيه كثيرا وهذا الحقد تحول إلى التمرد على سلطة الأب وبدأ هذا التمرد يوم استلذ ضرب رفيقيه " عبد السلام" و "البستاوي" لأبيه: " هاجمه رفيقاي، ضرباه باللكم ونطحات الرأس، سمعته يصرخ ويئن ويستغيث رأيته يغطي وجهه بيديه والدم يسيل من بين أصابعه بغزارة(...) تمنيت لو أني أشاركها في ضربه(...) كان عزاء لي أن أراه يُضرب على مرآي مني حتى يسيل دمه كما أسال دمي كلما ضربني"[3] وقد اندهش "عبد السلام" عندما علم أنه أبوه فقال:" ولكنه يستحق أكثر هما مما فعلتماه له إنه كلب" [4] ودائما ما يتمنى له الموت: " إدا كان من تمنيت له أن يموت قبل الأوان فهو أبي"[5] ويقتله في خياله:" في السنما(...) تخيلت يدي أبي تطبقان عليّ. إنه في خيالي(...) أنا البطل ضغطت على الزناد: طراطاطاط... طراطاطاط.. طران أبي يموت(...) أبي يتمرغ في دمه وأنا أنظر إليه بانتصار"[6] محمد لم يجد خيارا آخر للهروب من أية سوى الارتحال مرة أخرى، ولكن هذه المرة إلى طنجة وهذا ما نفهمه في حواره مع الفتى الذي خلصه من حملة القبض على المتشردين في طنجة: " جلس وسألني:

- من أين أنت؟

- ريفي.

- وعائلتك؟

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ، ص 73.
[2] المصدر نفسه ، ص 74.
[3] المصدر نفسه ، ص 75.
[4] المصدر نفسه، ص76.
[5] المصدر نفسه، ص 89.
[6] المصدر نفسه، ص 95.

- في تطوان.

- تسكنون هناك؟

-كنا نسكن هنا في طنجة ثم انتقلنا إلى تطوان.

- هربت؟

- نعم.

-(...)

- لماذا هربت؟

- كان أبي يضربني كثيرا، أحيانا كان يعلقني من رجلي إلى فرع شجرة ويضربني بحزامه العسكري"[1].

في مشهد آخر بلغ به جنون الجوع أن أكل الأسماك النتنة، التي رمى بها البحر على الشاطئ ورمى بنفسه في البحر من أجل بقايا الخبز وتذوق طعم ملحها قبل أن يصل إليها يقول: " كانت حوالي الواحدة بعد الزوال عندما هبطت الميناء، كنت حافيا، جد متعب(...) أحسست بجوع قاس في معدتي ماشيا تحت شمس كاوية جنون الجوع والقيظ يفقدانني رؤية الأشياء بوضوح، التقطت سمكة صغيرة جافة ومُداسة، شممتها رائحتها مقيئةسلختها مضغتها باشمئزاز طعمها نتن(...) صياد يأكل فطيرة محشوة، آكلها في خيالي(...) ناداه رفيق في المركب رمى الفطيرة إلى الماء ثم ذهب إليه انبجس طعم الملح اللذيذ في فمي(...) نزعت قميصي وسروالي وقفزت إلى الماء، طفوت تحت قطعة الخبز(...) قطع الخراء تحوم حولي بقع الزيت المركب (...) تسرب الماء القدر إلى حلقي"[2] وقد كانت لمحمد طريقة خاصة في الإستحمام حيث قال: "قصدت الشاطئ(...) أخدت أرك جسمي بطحالب

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص 98، 100.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

البحر والرمل. أفرك وأفرك شعر رأسي أكثر تدبقا من جسمي ظلت أحك جسمي وأغوص في الماء حتى أحمرّ جلدي : ظل جسمي متدبقا لكن أقل قذارة"[1]

حل الليل لم يجد أين ينام المقبرة هي المكان الوحيد الذي يستطيع أن ينام فيه دون أن يدفع أو يحاسبه أحد: " فكرت: المقبرة هي المكان الوحيد الذي يمكن للواحد أن يدخل من بابه في أي ساعة يشاء، نهارا وليلا (...) فرشت مكاني(...) قبور يعنون بها وأنا فوقها"[2]

تعلم محمد السرقة منذ ما كان صغيرا فقد كان يسرق يدافع الحصول على القوت وكي لا يبقى دون أكل: " سأسرق في السوق كما فعلت مع البستاوي وعبد السلام، سأحاول قبل أن ينفذ ما بقي لي من نقود"[3] قابله شرطيان وبعد حواره معهما فهمنا أنه قدم إلى طنجة من أجل العمل:" أوقفني شرطيان مغربيان باللباس الرسمي قال لي الأول:

-أوراقك.

- ليس عندي أوراق

من أين أنت؟

من تطوان.

سألني الثاني:

أين تسكن في تطوان؟

في حي الطرانكات.

(...)

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ، ص 102.

[2] المصدر نفسه ، ص 108.

[3] المصدر نفسه، ص 109.

وماذا تعمل أنت هنا؟

لا شيء جئت أبحث عن عمل"[1]

ويبدو أن محمد كان لا يملك سوى سروال وقميص فحين بالت عليه الفرس غسلهما ولبسهما مبللين: "حرت في تجفيف السروال والقميص، عصرتها ولبستها وخرجت"[2]، وحين تمزق سرواله غضب وشتم وسب العالم :" سمعت حفيف تمزق في سروالي بصقت شاتما العالم"[3].

في يوم الأحد خرج محمد صباحا إلى البلاد فوجدها على غير عادتها فالرايات مرفوعة والمحلات مغلقة: "أرى السوق الكبير (...) رفعت الراية المغربية والراية السوداء(...) عندما سألت في هذا الصباح التشاطو عن هذه المناسبة الوطنية قال لي :

(...)

إنه اليوم المشؤوم.

ما معنى اليوم المشؤوم؟

(...)

30 مارس 1952 تمر أربعون سنة على حماية فرنسا للمغرب لهذا صار يعتبر 30 مارس اليوم المشؤوم"[4]

ثم انتهى هذا اليوم المشؤوم بالنسبة للمغاربة بالمجاز فالناس هاربون والشرطة تلحق بهم وتقتلهم: "رجال الأمن يطلقون النار على المغاربة

-لماذا؟

- سبب ذكرى 30 مارس.

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ص 112،113.
[2] المصدر نفسه ، ص 114.
[3] المصدر نفسه، ص 115.
[4] المصدر نفسه، ص 117،118.

-(...)

-هل مات كثير من الناس؟

-يطلقون على كل من يمر أمامهم من المغاربة"[1]

بعد انتهاء هذه الأزمة عاد محمد للعراك. فهو أصبح مدمن عليه فيصف لنا عراكه مع شاب سكران فيقول: " اعترضني شاب سكران الطريق خالية(..) تعال معي سنقضي الليلة معا(...) تراجعت قليلا إلى الوراء وهو يقترب مني، سدد لي ركلة إلى أسفل بطني(...) سقطت متكورا على الدرج، تكسرت الزجاجة بقي عنقها في يدي(...) حين ضربته بعنق الزجاجة على يديه اللّتين يحمي بهما وجهه صرخ مثل الحيوان"[2]

وعراك آخر مع " بوصوف" لأنه أراد أن يستغله ويأخذ منه عشرة ألاف فرنك أكثرها اتفق عليه وهو ستة ألاف: " ارتمى بسرعة على أسفل بطني، ضبطته من عنقه بيدي معا، صعدت له بركبتي اليمنى ضربة تقليدية إلى وجهه، لم يندم نطحته، ألقت سددت لكميتين على أنفه ثم واحدة على عينه اليسرى، الأحمر ينزف من أنفه وأخمص قدمه اليمنى"[3]

نستطيع القول أن محمد حُرم في صغره من أبسط الأشياء التي يحتاجها الطفل وهذا بسبب الفقر، فقد احتاج للأكل والنوم بهناء، وليس فقط بل عيشه مع والده السيئ قاسي القلب أفقده، وحرمه من حب والده والحنان الذي كان يحتاجها أي طفل في كره لدرجة أنه تمنى لوالده الموت أو الدخول للسجن كي لا يراه مجددا. وهذه المعاناة لم تفارقه لما أصبح شابا فهو اصطدم بقساوة الحياة والمجتمع الذي لا يرحم، والخيز الذي يجري وراءه هو وأمه حيث ذاق مرارة الحياة في قساوتها وفي معاملة والده لهما، اللذان تحمّلا كل شيء رغم الفقر والحرمان في ذلك البلد المستعمر.

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص 129.
[2] المصدر نفسه، ص 176،178.
[3] المصدر نفسه، ص 212.

المبحث الثاني: الجوع الجنسي

من الواضح أن " محمد شكري" عاش حياة قاسية منذ صغره في ظل الاستعمار، وما ورد في روايته هذه التي تتضمن سيرة ذاتية يؤكد ذلك، وليس وحده فقط من عاش هذه الحياة بل هناك أيضا العديد من الناس يعيشون مثلها، وقد سرد لنا شكري في هذه السيرة جل المواقف التي توضح المعاناة التي مر بها منذ طفولته وحتى بلوغه، ولعل أصعب مرحلة مر بها كانت في صباه حيث كان لا يجد ولو مضغة خبز يسكت بها جوعه الدائم، وحتى بعد رحيله مع والديه إلى طنجة بالرغم من أنه كان يأمل أن يجد الخبز الوفير الذي وعدته به والدته إلا أنه ومع كل الأسف لم يجد سوى الألم والمعاناة والجوع مما أدي به الأكل من المزابل كما يقول: " حين يشتد عليّ الجوع أخرج إلى حي "عين قيطوط" أفتش في المزابل عن بقايا ما يؤكل"[1] فقد كان سكت جوعه بالنقش في المزابل كما أنه انحرف إلى فعل المحرمات والسرقة وكانت أول مرة يقوم فيها بالسرقة عندما تعدى على شجرة الإجاص الموجودة في البستان الصغير المجاور لمنزلهم وقد حسبه صاحب الشجرة في غرفة داخل منزله وقد كانت أول مرة يحبس فيها الصبي بهذه الطريقة، وربما كانت السبب في انحرافه إلى فعل المحرمات فقد كان يراقب أبنة صاحب المنزل من ثقب مفتاح الباب من الغرفة التي كان مسجونا بها حيث يقول: "أرى من ثقب مفتاح الباب الشابة تنظف الأرض بالماء والصابون بحيوية حافية القدمين حاسرة ثوبها الشفاف علي فخديها البيضاوين ونهديها العاريين الصغيرتين، يهتزان يطلان ويختفيان من خلال فتحة قميصها مثل عنقودين من العنب يتدليان"[2] نلاحظ من خلال قول الكاتب أنه قد نسي جوعه وألمه وحتى حبسه عندما كان يراقب الفتاة من ثقب مفتاح الباب والدليل على ذلك وصفه الدقيق لها، وقد كانت أول مرة يراقب فيها فتاة بهذه الطريقة ويحدق بدقه مع مناطق أنوثتها، وليس السبب الوحيد في انحراف الصبي بل كذلك نومه مع والديه في نفس الغرفة وسماعه لما يحدث بينهما أثناء نومهم من همسات حب وقبلات حارة واللهاث المتلاحق مثل ما يقول: " في الليل أيقظتني مثانتي الممتلئة، قبلات

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص10

[2] المصدر نفسه ص21.

تصفق. لهاث متلاحق. همسات حب. إنهما يحبان بعضهما. اللعنة على حبهما. لحم يصفق. تفو؟ إنها تكذب لن أصدقها بعد اليوم.

فمك.

ها أنا. ليس بعنف ليس هكذا انتظر"[1]

لقد كان يسمع ما يدور بين والديه في منصف الليل وكان يقع في حيرة من أمره واندهاش كبير في العلاقة الموجودة بين أمه وأبيه لأن ما يحدث في الليل عكسه تماما ما يراه في النهار من تخاصم وشتم وضرب مبرح من الأب للأم لذلك قال بأن والدته كاذبة وأنه لن يصدقها بعد الآن هكذا أصبح الفتى ينحرف شيئا فشيئا حتى سيطرت عليه رغبته الجنسية وتملكه نوع من الحماس في أن يكبر وتصبح له امرأة ويفعل معها مثل ما يفعل والدته ويعاملها بنفس الطريقة يقول:" إنهما ينامان عاريان ويتعانقان. هذا ما يصالحهما إذن. عندما أكبر سيكون لي امرأة. سأخاصمها في النهار بالضرب والشتم. وأصالحها في الليل بالعري والعناق. إنها لعبة جميلة هذه ومسلية بين الرجل والمرأة"[2].

لقد كبر الصبي وبدأ يعي بعض الأشياء لكنه لا يفهم تماما ما معنى الحياة وبالتحديد ما يدور بين والديه.

الصبي يكبر ولم يمنعه شيء من مواصلة السرقة سرقة أي شيء يجلب له المال وكذلك فعل المحرمات حيث أصبح يطفئ رغبته الجنسية مع إناث الحيوانات كالدجاجة، العنزة والعجلة والكلبة حيث يقول: "رغبتي الجنسية تتهيج كل يوم الدجاجة، العنزة، الكلبة، العجلة... تلك كانت إناثي"[3]. فنلاحظ أن محمد شكري مع وصوله سن البلوغ زادت رغبته الجنسية وأصبح لا يفرق بين الحلال والحرام فقد سيطرت عليه شهواته وصار همه الوحيد هو إشباع من الرغبات.

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص 26.
[2] المصدر نفسه، ص 29.
[3] المصدر نفسه، ص33 .

وكما ورد في الرواية فعادة ما كان يرى " شكري النساء عاريات لذلك كان يتأثر بهن ويتهيج وتشتد رغبته الجنسية وكانت أول واحدة منهن هي آسية، فذات مرة كان يقلع التين كعادته فرآها من بين الأغضان عارية تقترب من الصهريج من أجل أن تسبح وحسب وصفه لها فقد كانت تقترب بخوف شديد من أن يراها أحد ما فكانت تخطو خطوة واثقة وأخرى بشك فيقول: " تقف على عتبة درجات السلم كأنها الوحيد في هذا العالم تفك حزام منامتها لم أعد أرى سوى جسمها تنفتح المنامة الوردية مثل جناحي طائر يريد أن يطير ولا يطير ينبثق بياض أعلى جسمها إلى ردفيها، يدوخ رأسي بلذة، أنبهر، تسقط التينة من يدي، ابلع التي فمي سلتي تميل يسقط نصف محتواها"[1]

نلاحظ من خلال هذا الوصف الدقيق للفتاة أن شكري متأثر أشد التأثير بها وواضح تماما أن رغبته الجنسية قد سيطرت عليه إلى حد كبير، والدليل على ذلك يكمن في أنّ محمد شكري في صغره كان همه الوحيد هو أن يجد قوت يومه ليسكت به جوعه لكن عند بلوغه لم يعد الأمر كذلك، فقد أصبح قادرا على إيجاد الطعام بأي طريقة كانت، لكن رغبته في الاستمناء واشباع رغبته وشهوته أنسته جوعه، فبالرغم من وجود الطعام بين يديه إلا أنه لا يرغب في الأكل بل استثار بعد رؤيته للفتاة عارية وتابع مراقبتها بشدة ولذة فهو يتأملها خطوة بخطوة ويراقب جل حركتها الصغيرة والكبيرة ويتناغم مع حركاتها يقول: " يؤلمني انتصابي، تخطو خطوتين فوق عتبة الصهريج، هياجي يستند شعرها الأسود يغطيها من الوراء تنحني على كتفيها ينسدل سالفها إلى الأمام، تعرت من الوراء ينفتح لحمها الأبيض من الوراء عن ظلمتها الخفيفة يتعسل فمي، يتدغدغ يؤلمني جسمي بلذة رعشة حُلوة وقذف لذيذ أرخاني حالما مستندا عل فرع الشجرة ملت وكدت أهوي"[2] من الواضح أن " شكري قد بلغ سن المراهقة لذلك أصبح يتصرف بهذا الشكل، فهو لا يهتم بما حوله وغايته هي إرضاء رغبته لأنه متأثر إلى حد كبير بعضوه الذكري فنلاحظ أنه بالرغم من بعده عن الفتاة إلا أنه استطاع أن يصل إلى الرعشة بعدما استثار بالمنظر

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص 33.
[2] المصدر نفسه ص 34.

العاري للفتاة وقد وصل إلى قمة اللذة وهو يراقب حركات البنت على التوالي دون أن يفكر في نفسه ولو للحظة أو بما سيحدث له فقد أصبح همه الوحيد هو قضيبه فنجده يقول:" قضيبي يدغدغني كل يوم أهدهده بأصابعي كأني أهدهد ألم دمل أنتظر أن يتقيح، بنتصب يمتلئ يستوي شيئا فشيئا حتى يحمر ويعرق لاهثا، صرت مشغولا إلا به وحده أحس بألم في الخصيتين إذا لذني لم تتم في الإستمناء"[1] يتبين لنا من خلال قوله أن اهتمامه بعضوه الذكري يزداد شيئا فشيئا ويوما بعد يوم لأنه يمارس ما يعرف بالعادة السرية فصار يذغدغ عضوه ويحاول الوصول إلى قمة اللذة ولم يحدث ذلك فإنه يحس بألم في خصيته.

لقد انغمس الشاب في سن المراهقة وبات يشتهي كل ما هو جسدي وقد أخذته شهوته إلى فعل العديد من الرذائل فكان يذهب مع رفاقه إلى ما يعرف ببيوت الدعارة ويجامع النساء والفتيات على حد سواء مقابل دفعة مبلغ من المال، فكان لا يهتم بمظهر الفتاة وجمالها بقدر ما كان مهتما بشهوته وإطفاء رغبته الجنسية مع هذه الفتاة.

لم تكن السرقة وفعل المحرمات والرذائل والذهاب إلى بيوت الدعارة هي ما قام به " محمد شكري" فقط بل كان يتناول بعض أنواع الجنس والخمر لذلك كان يغيب عن وعيه ونتيجة إلى فعل كل تلك الرذائل والمحرمات حيث يقول" اشترينا نصف زجاجة من الماحيا وشربناها عند حافة الجبل درسة. إنفعنا أن نذهب إلى الماخور.

قالت لنا للاحرودة التي نعتبرها نحن المراهقين، معلمة في النكاح:

يظهر أنكما شربتما؟ أليس كذلك؟

نعم لكنك أنت جميلة ونحن نريدك؟"[2]

من الواضح أنه يحاول أن ينكر أنه قد احتسي الشراب حتى لا ترفضه للاحرودة وتعطيه الفرصة الأولى التي سيجرب فيها أن ينام مع امرأة، وفعلا قد استطاع أن يقنعها ودخل معها إلى بيتها وجامعها وقد كانت أول مرة له

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص 35.

[2] المصدر نفسه ص 42.

ينام مع امرأة ويجامعها، في بداية الأمر كان خائفا ومندهشا من تصرفاتها لدرجة أنه بقي يتساءل مع نفسه من شدّة ماذا إن كان لفرجها أسنان؟ لكنه تفاجأ بعدما لامسها ولم يجد سوى اللين والدفء كما وصفه يقول:" سألني رفيقي التفرسيتي:

كيف هي؟

رائعة. بلا أسنان.

إندهش:

ماذا؟

ليس لها أسنان؟

لا أقصد أسنان فمها أن فرجها لا يعض. إنه يقبض ويمص لكنه لا يعض سترى بنقسك إنه دافئ ولين"[1]

من خلال قوله هذا يتضح جليا أن " شكري" لم يمارس الجنس من قبل وقد كانت هذه أول مرة يجامع فيها امرأة فبالرغم من أنه كان يفعل فعلته مع إناث الحيوانات ويفعلها بنفسه أيضا إلا أنه لم يسبق له يقضي رغبته مع امرأة كان خائفا ومندهشا إلى ذلك الحد.

واصل شكري مشوار حياته مع صديقه التفرسيتي بالعمل وجمع المال من أجل إنفاقه في قضاء رغبته الجنسية مع النساء فقد أصبح يذهب إلى بورديلا لإسبانيا، وهناك تعرف على الكثير من الفتيات ولاحظ الاختلاف الموجود بينهن من ناحية الجمال، كما أنه لاحظ التشابه بينهن في الفراش.

لقد كان الندم يكاد يقتله عندما ينتهي فصل الصيف لأنه الفصل الذي يتوفر فيه العمل فعمله عادة هو جمع الخضر والفواكه وبيعها، لكنه ينفق أمواله كلها ويبذرها في فعل المحرمات وشرب الخمر ومجامعة النساء...إلخ وعند قدوم فصل الشتاء ينحصر ويندم على أمواله تلك إلا أنه لم يأخد العبرة من ذلك على حد قوله: " كنا

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص 45.

ننفق كل ما نربحه في شرب الخمر والنوم مع النساء ماخور حي" السانية" في فصل الشتاء نتحصر كثيرا على إسرافنا"[1] لكن دون جدوى فالحسرة لا تنفع بشيء

سافر "شكري" مع والده إلى وهران حيث تغيرت حياته بعض الشيء، فقد أصبح يعمل في مزرعة الفرنسية عمل لعدة أشهر في تلك المزرعة إلى أن أصبح خادما في منزل زوجته مراقب المزرعة، صار يطبخ ويغسل الصحون وكان كثيرا ما يفكر في بورديل تطوان فيحزن حزنا شديدا على ذلك خاصة وأنه لم يذهب إلى بيوت الدعارة في وهران لعدم وجود رفيق يشجعه على ذلك.

كان كثيرا ما يضاجع " مونيك" صاحبة المنزل في خياله إلى أن اكتشفه بنفسها، حيث وجدته ذات مرة يشرب الخمر في بيتها ويتفرج على ألبوم صورها ويداعب قضيبه بيده ويعيش في حلم لذيذ، بينما كانت مونك قد خرجت مع زوجها وعند عودتها إلى البيت وجدته على تلك الحالة، خرج من منزلها ولم يعد مرة أخرى وفكر بأنها غاضبة منه إلى أن زارته هي في بيت خالته لم يتمكن "محمد شكري" من التحكم في نفسه والسيطرة على شهوته فقد وصل به الحد إلى أن يتعدى على غلام أحد الجيران بعدما ذهبا معا إلى الحقل من اجل اصطياد والعصافير، قدم للصبي الخمر والدخان وتلك كانت المرة الأولى التي يتناول فيها الغلام الخمر ويكيف الدخان ثم استلقى على ظهره وبدأ يداعبه ويلاطفه كان الفتى خائفا جدا ومستغربا منه أراد الهروب منه لكنه أمسكه حيث يقول: " همّ يقف أمسكته من يده بعنف، جسمي يرعش الجنون في رأسي، سحب يده بقوة ووقف أراد أن يهرب عانقت ساقيه وجذبته بقوة وجنون تحتي.

صار لي.طفلي!

سأشكوك لأبي... سأشكوك لأمي... سأشكوك...

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص 49.

جسدان في جسد. يخشمني. أعضه في رقبته. يكف عن الصراخ والاهتزاز ويستقر دفئي في دفئه"[1] وهكذا فعلها"شكري" واستطاع يفرغ شهوته مع الفتى بعد ما طال شوقه إلى فعل هذه الأمور وقد شكا به الفتى إلى أمه وأبيه، أنبته خالته لكنه أنكر وحلف أنه برئ كما أنها نهته عن فعل ما هو قبيح وقد كان هذا سببا رئيسيا في عودته إلى " تطوان" كما أنه كان مشتاقا للعودة فهو كان يفضل سجن الوطن على حرية المنفى عاد إلى تطوان وعاد إلى حياته السابقة إلى الضرب والسب والشتم الذي لم يتعود عليه قط، فكان يفضل المبيت في الشارع على أن يذهب إلى المنزل فكانت فرصة مناسبة له من أجل الذهاب إلى بيوت الدعارة التي اشتاق إليها لما كان في وهران.

من جراء ما عاشه " شكري" كان عادة ما يجلس بمفرده ويفكر ويطرح تساؤلات عديدة مع نفسه لكن دون جدوى لأنه لا يفهم معناها بوضوح كان الشيء الوحيد الذي يفهمه هو حياته وهمه الوحيد هو أن يحياها، فقد تعرف على أصدقاء جدد عاش معهم أحداث ومغامرات كثيرة ومثيرة بدءا من شجاره مع والده وصولا إلى ملاحقة الشرطة لهم وكذلك هجوم البوليس وإطلاق النار على الناس وقتلهم، مما أدى به إلى إلى الهروب مع صديقه" الكبداني" والنجاة بحياته إلى كوخ " قابيل" صديق الكبداني" وكان لهروبه معهم فرصة ثمينة من جهة من أجل النجاة من هجوم الشرطة ومن جهة أخرى من أجل الحصول على العمل. بعد وصولهم إلى الكوخ وجد محمد شكري ما يحتاج إليه حقيقة ليس المال بطبيعة الحال فهو عادة المكان يجمع المال من أجل الحصول على فتاة، لذلك ما كان يحتاجه هو النوم في حضن امرأة هناك استطاع أن يغتنم فرصة النوم في أحضان " سلافة" زوجة "قابيل" وبعد خروج "قابيل" مع " الكبداني: تركا "شكري" في الكوخ مع سلافة زوجة قابيل وصديقتها بشرى ، لم يتسغرق الكثير من الوقت في مراقبه "لسلافة" وهي نائمة فإذا بها تدعوه إلى الذهاب الغرفة المجاورة حتى لا تفيق بشرى ويستطيعا أن يستمتعا ببعضهما البعض يقول: "أغمضت عيني وسقط رأسي على صدرها

[1] محمد شكري، الخبز الحافي، ص67.

العاري الحار، فكرت: مخدّة من لحم تخفق بعنف هذه الوسادة من اللحم تخفق صداع رأسي"[1] كعادته شكري يركز على المناطق التي تزيد من قوة رغبته كما تثير أكثر المرأة التي يجامعها، ولم يفكر في العواقب التي سيواجهها مع قابيل لو أنه وجده نائما مع سلافة لكن الأمر مادامت هي أيضا لديها رغبة قوية في ممارسة الجنس معه ومضاجعته، كما أنها طمأنته بعدم عودته إلا بعد مرور ساعات يكون هو خلالها قد أنهى مهمته معها. مرت أيام وهو على نفس الحال " قابيل" والكنداني يخرجان إلى العمل، بينما يبقى هو مع سلافة أحيانا يتبادلان أطراف الحديث وأحيانا يضاجعان بعضهما البعض، إلى أن بدأ العمل معهم هو أيضا، لكن لم يمض وقت طويل ورحل شكري من الكوخ واتجه نحو دار للازهور ليلهو مع الفتيات هناك، إلى أن جاء صديقه " القندوسي" يبحث عنه ليخبره بما حدث لصديقة "الكبداني" انصدم " شكري " عند سماعه خبر وفاة صديقه الكبداني وواصل حديثه مع القندوسي وكان يتناول الخمر ومتأثرا بما حصل، كما أضاف له أن قابيل تم إلقاء القبض عليه، بينما سلافة قد جمعت ما استطاعت جمعه وهربت إلى خارج طنجة، لم يتفاجأ بخبر هروبها لأنها كانت قد طلبت منه ذلك عندما كانا في الكوخ معا وأخبرته بأنها تريد الخروج من طنجة دون عودة كان له الحظ الكبير في مغادرة الكوخ قبل حدوث كل هذه الأمور فلو أنه بقي هناك ليوم آخر لتم القبض عليه مع قابيل، أو لكان هرب مع سلافة. عند انصرافهما قدم القندوسي بعض النصائح لشكري حتى لا يتم إلقاء القبض عليه، ذهب شكري إلى الفندق الذي كان يسكن فيه وفي طريقه اعتدى عليه أحد الشبان هناك لكنه وجه له ضربا مبرحا وأكمل طريقه. عند وصوله إلى الفندق ناد بصوت شاحب على صديقه الزيلاشي لينزل إليه مسرعا ويسعفه، قامت فتاتين بتنظيف جروحه لم تمر دقائق حتى سمعوا الباب يطرق، قام حميد وفتح الباب فوجد رجال الشرطة هم من يطرقون الباب، قيدوهم جميعا وأخذوهم إلى المخفر النساء إلى مخفر السوق الداخلي والرجال إلى القسم الجنائي، أدخلوهم إلى المخفر تم اتجهوا بهم إلى إحدى حجرات السجن شكري في السجن الحقيقي، لكنه لم يبق هناك طويلا لأنه لم يرتكب أي

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ، ص 135.

جريمة حتى يعاقب عليها لمدة طويلة بقي هناك ثلاثة أو أربعة أيام، وفي تلك الفترة كان صديقه حميد على جدران الغرفة بعض الأبيات الشعرية لبعض الشعراء فتأثر به شكري وقال له بأنه محظوظ جدا لأنه يستطيع أن يقرأ ويكتب ومن هنا بدأ تفكير شكري في القراءة وقد طلب منه أن يعلمه عندما يخرجان من السجن، لأنه كان يظن أن حياته ليس لها معنى ولا تساوي شيئا دون قراءة وكتابة .وحقيقة لم يكن شكري على خطأ في تخمينه هذا.

نخلص في الأخير إلى أن شكري عاش حياة قاسية مليئة بالمعاناة في ظل الاحتلال الاسباني مما أدى به إلى الانحراف وفعل المحرمات، فبعد بلوغه وتخطيه مرحلة الصبا التي كان يحتاج فيها إلى الخبز أصبح يهتم بشهواته وغرائزه الجنسية وهذا الانحراف في سن المراهقة شيء طبيعي في علم النفس، لأنه ناتج من المشاكل والفقر وغيرها، التي عاناها الطفل منذ صغره.

إذ أن محمد شكري قد عوض حاجته غلى الطعام بتلبية رغباته الجنسية وهنا تتجسد عقدة النقص لدى آلدر.

كما أن هروبه إلى الشارع وفعل المحرمات والرذائل ناتج عن معاملة والده القاسية له مما ولد كره شديد الابن اتجاه والده وهنا يتجسد عقدة أوديب.

المبحث الثالث: الجوع المعرفي

كل إنسان لا يعرف القراءة والكتابة يشعر بأنه شخص ناقص وحياته غير مكتملة.

وهذا ما حدث مع محمد لأنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة فيقول في حواره مع والد السيدة " مونيك" " حدثني أبوها عن أصله الاسباني تأسف حين أدرك أنني لا أعرف القراءة والكتابة بأي لغة، سألني:

-ألا يعلمون عندكم العربية والاسبانية في تطوان؟

نعم. سمعت أنهم يعلمون العربية والاسبانية.

لماذا إذن لم تذهب إلى المدرسة؟

لأن أبي لم يفكر أن يدخلني إلى المدرسة

أهو لم يكن يريد أم أنت الذي لم تكن تريد أن تذهب إلى المدرسة؟

- لا أدري. أنا لم أهرب قط من المدرسة إننا جد فقراء والدراسة تكلف هناك بعض المال"[1]

- الفقر حرمه من التعلم، ولكنه أدرك حاجته إليه حين دخل السجن رفقة " حميد الزيلاشي" ويظهر ذلك من خلال إعجابه بحميد فيقول: "لاحظت أن الرفاق كانوا يتبعون باهتمام ما يقوله

- حميد قلت له: إنك محظوظ

- قال مندهشا: أنا محظوظ؟

- نعم أنت محظوظ؟

- لماذا؟

- لأنك تعرف كيف تقرأ وتكتب"[2]

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ، ص 59.

[2] المصدر نفسه، ص 192،193.

-وأيضا إحساسه بالقهر حين وقع ورقتين في قسم الشرطة ولم يكن يعرف ما كتب فيهما: "جعلوني أوقع بإبهامي ورقة أخرى مكتوبة(...) فكرت: ماذا كتبوا أيضا عني في هذه الورقة؟ في استطاعتهم أن يكتبوا ما يشاؤون ما دمت لا أستطيع أن أقرأ ماهو مكتوب في تلك الورقة لا أجرؤ أن أطلب منهم أن يأتوا لي بمن يقرؤها لي قبل أن أوقعها"[1]

وفي مقهى" سي موح" كان عبد المالك (أخ حميد) يقرأ للرواد المجلات والصحف وهذا ما ولد لدى محمد رغبة في التعلم: " كنا نعتبره أهم شخص يتردد إلى المقهى، يقرأ لنا المجلات والصحف الشرقية والعربية بصوت قوي وواضح، (...) حين يطلب منه أحدهم شرحا أكثر وضوحا لإحدى الأفكار يجد الفرصة ليتعالى علينا نحن الأميين الجهلاء(...) لم يكن بعض الرواد يفرقون دائما بين قوله وقول الله، كثيرا ما يقول أحدهم صدق الله العظيم(...) كنت فخورا أن يصاحبني شخص مثقف مثله"[2] . وكانت رغبته في التعلم تزداد شيئا فشيئا:

" في الصباح (...) ذهبت إلى المكتبة في واد أحرضان واشتريت كتابا لتعلم مبادئ القراءة والكتابة بالعربية"[3].

وهذه الرغبة دعمها حسن وهو أخ عبد المالك وحميد حين كتب له رسالة توصية لمدير مدرسة المعتمد بن عباد (بالعرائش) يقول: " هل تريد أن تذهب إلى العرائش لتدرس هناك؟

قلت له بدهشه:

أنا؟كيف لي ذلك. إنّ لي عشرين سنة ولا أعرف حتى كيف أوقع اسمي.

لا يهم أنا أعرف هناك مدير المدرسة سأكتب لك رسالة وصية لتحملها معك إليه"[4]

---

[1] محمد شكري، الخبز الحافي ، ص 198.

[2] المصدر نفسه، ص 215،216.

[3] المصدر نفسه، ص 225.

[4] المصدر نفسه، ص 225 .226.

يمكننا القول أن محمد وأمثاله كانوا جياعا حفاة عراة مشردين في الدروب محرومين مما هو حق للبشرية حتى أبسط الأشياء ولم ينالوا حظهم من العناية والتربية والتعليم بل كانوا يعيشون عيشة شبيهة بالحيوانات (أكرمكم الله) بسبب الفقر والمجاعة والحروب.

إن حاجة محمد للتعلم تولد فيه الشعور بالنقص فلما أشبع غزيزته الجنسية بدأ يفكر في شيء آخر وهو التعلم إذا لاحظ بأنه أصبح شابا راشدا، ولكن لا يعرف حتى كيف يكتب اسمه. وهذا الشعور هو ما تحدث عنه " ألفرد آدلر" في نظريته عقدة النقص".

الخاتمة

خاتمة

في خاتمة هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها في نقاط ونبدأ بالفصل الأول:

1- تعد مدرسة التحليل النفسي إحدى المدارس التي تفسر السلوك البشري، وتعتبر تلك المدرسة هي أصل علم النفس.

2- يعد فرويد من أشهر مفكري القرن التاسع عشر، ومؤسس نظريات علم النفس حول تطور الشخصية والصحة النفسية.

الفصل الثاني:

1- تندرج رواية الخبز الحافي ضمن أدب السير الذاتية، إذ تتجلى شخصية محمد شكري ساردًا بطلاً من خلال هيمنته الكلية على الحكي والمحكي،واستقطابه لسائر الأحداث والوقائع عن طريق العلائق التي تربطه بالشخصيات الموجودة في الرواية، كما أنه صور جوانب عدة من حياته الجميلة منها والسيئة.

2- إن شخصية الكاتب وان بدت سلبية على مستوى الصفات والوظائف إلا أنه يفكر بإيجابية،إذ أنه يشعر بوجود أزمة ويسعى إلى التغلب عليها.

3- تنشأ شخصية الكاتب داخل المجتمع لتعبر عن الوضع المتأزم الذي مرت به البلاد، من فقر وجوع وحرمان بسبب الاستعمار.

4- عانى محمد من كل أنواع الفقر(الحرمان، الجوع، المجاعة...) أضف إلى ذلك معاملة والده القاسية وهذا ما أدى إلى نشوئه طفلاً منحرفاً.

5- تجسدت عقدة النقص لآدلر في شخصية الكاتب من خلال تعويض الجوع بالجنس.كما تتجسد عقدة أوديب في شخصيته بكرهه لوالده وتمنياته له بالموت.

6- لما أشبع محمد رغبته الجنسية تغير تفكيره وأصبح يفكر بإيجابية أكثر، وصار همه الوحيد هو طلب العلم والمعرفة وهنا تتجسد عقدة النقص لدى آدلر.

7- مرت هذه الشخصية في الرواية بنوعين من النقص، الأول هو جوع مادي أدى به الى الجنس وهذا نقص سلبي، والآخر جوع جنسي أدى به إلى طلب العلم وهذا نقص إيجابي.

خاتمة

كانت هذه مجمل النتائج التي توصلنا إليها من وراء بحثنا الموسوم ب:"دروب الجوع في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري –دراسة نفسية–"التي نرجوا أن تكون فاتحة خير لآفاق جديدة تعمل على ضمان استمرارية البحث العلمي.

الحمد لله الذي أعاننا حين توكلنا عليه، ويسر لنا أمورنا حين سألناه التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

1-المصادر:

1. محمد شكري: الخبز الحافي دار الساقي بيروت لبنان، ط6، 2000.

2-المراجع:

1. أحمد عزة راجع أصول علم النفس، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصرن ط7، 1968.
2. أرنوف وتيج: مقدمة في علم النفس، تر: عادل عز الدين، الأشول، بن عكنون، الجزائر، (د ط)
3. بدر الدين عمود، علم النفس في القرن 20، إتحاد الكتاب العربي، دمشق. (د ط)، 2001.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، لبنان، دط، 1982، ج2.
5. روجر آلن، تر، حصة إبراهيم المنيف، الرواية العربية، د.ط، 1997
6. زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسين دمشق، سوريا، د ط، 1998.
7. سمير بقيون الطب النفسي، دار اليازوري، عمان، الأردن، (د.ط)، 2007.
8. عبد الحميد يونس وفتحي حسن المصري، في الأدب المغربي المعاصر، فاس المغرب، ط1.
9. عبد القادر فيدوح، الإتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار الصفاء، عمان، الأردن، د ط.
10. كامل محمد محمد عريضة : علم نفس الشخصية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
11. محمد عودة الريماوي، علم النفس العام، دار الفكر، ط7، 2009.
12. نبيل موسى: موسوعة مشاهير العالم، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج2.
13. وليد عبد الله رزيق، خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن، دمشق، سوريا، دط.

المذكرات والرسائل الجامعية:

1. أنيسة، أحمد الحاج، الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، 2015، 2016.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**أ–ب**
مدخل	**3**
الفصل الأول: **المنهج النفسي بين نتاج الغرب وتبعية العرب (التعريف،النشأة والإجراءات).**	
المبحث الأول: تعريف ونشأة المنهج النفسي عند الغرب وأهم أعلامه	**6**
1- مفهوم علم النفس	**6**
2-نشأة علم النفس	**6**
المبحث الثاني: أهم إجراءات التحليل النفسي.	**11**
1- عند فرويد	**11**
1-1- الوعي واللاوعي (الشعور واللاشعور).	**11**
1-2- طبيعة الشخصية (الذوات).	**13**
2- العقد النفسية:	**17**
2-1- عقدة أوديب.	**17**
2-2- عقدة النقص عند ألفرد آدلر	**19**
2-3- اللاشعور الجمعي عند يونغ.	**21**
2-4- عقدة النرجسية.	**22**
المبحث الثالث: التحليل النفسي عند العرب المحدثين في عصر النهضة	**24**

فهرس المحتويات

1- عند العقاد.	24
2- عند النويهي.	26
3- أقسام النفس الإنسانية في القرآن الكريم.	28
3-1- النفس العاقلة الناطقة.	28
3-2- النفس الغضبية.	29
3-3- النفس الشهوانية.	29
3-4- النفس الأمارة بالسوء.	31
3-5-النفس اللوامة.	31
3-6- النفس المطمئنة.	32
الفصل الثاني: تحليل رواية الخبز الحافي لمحمد شكري وفق المنهج النفسي.	
تمهيد	34
المبحث الأول: الجوع المادي.	35
المبحث الثاني: الجوع الجنسي.	46
المبحث الثالث: الجوع المعرفي.	55
خاتمة	58
قائمة المصادر والمراجع	60
فهرس المحتويات	61